المفهومُ السياسيُ للعِزةِ
دراسة في الفقه السياسي

دكتور/ ياسر السيد محمد عبد العظيم(*)

مقدمـــة:

الحمد لله الذي عجزت العقول عن معرفة ذاته، وقصرت الأفكار عن الإحاطة بِكُنْهِ صفاته، وتحيرت الأبصار في بدائع مصنوعاته، وشهدت له بالوحدانية عجائب أرضه وسماواته؛ أحمده على مننه العظام وأياديه الحسان، حمد معترف بسوابغ الإنعام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحداً لم يزل منعوتاً بالجلال موصوفا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله ببرهان لامع المنار، وقرآن ساطع الأنوار قاطع بإعجازه حجج الكفار والطغاة المعاندين أولي الإنكار وصلى اللّهم وسلم على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وعلى آله وأصحابه الأبرار صلاة دائمة بالعشي والإبكار ،،،، وبعد ،،،،

تعتبر العزة من الصفات التي يجب على المسلم أن يتخلق بها، وهي من شيم العرب والعروبة، التي جاء الإسلام بتأكيدها وتأصيلها وقد تأصلت هذه الصفة في الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم، وحققوها في واقعهم الشخصي والواقع السياسي الدولي مع الدول الأخرى، وبما أن الصحابة كانوا أفضل الناس لفهمهم القرآن الكريم فهماً جيداً فقد ترجموا هذه الصفة في جميع شئون حياتهم؛ لذا سادوا العالم في أقل من مائة عام، وضربوا مثالاً رائعاً للإنسان المسلم الملتزم بإسلامه، المتصف بالعزة من دون كبر أو خيلاء، ومن دون اعتداء أو ظلم أو تعد، وإذا أراد المسلمون في هذه الأيام أن يرجعوا إلى ما كان يتمتع به الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم من رفعة وعزة ومنعة وقوة في الحق وتطبيق له وفهم لكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ؛ فلابد لهم من أن يقوموا بتطبيق القرآن الكريم والسنة النبوية بكل ما جاء فيهما من

(*) مدرس الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة.

قيم وأخلاق ومُثُل، ولا بد من أن يتصف الإنسان بصفة العزة كفرد مسلم ويترجم هذه الصفة إلى واقع، وخصوصاً إذا كان يتولى عملاً رئاسيّا أو عملاً ذا صفة قيادية؛ لأنه أقدر من غيره على تنفيذ ما يراه صالحاً ولا بد من أن تعود العزة للإسلام والمسلمين مرة ثانية، ولا يحدث هذا إلا بعد التغيير الجذري لحياتنا في تصورنا لهذه الحياة، وفي تصديقنا، وفي إيماننا بالمنهج الواجب علينا إتباعه، المنبثق من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة؛ لذا أردت أن أنقل صفة العزة كمفهوم يتصف به الأفراد إلى مصطلح سياسي يترجم الواقع الذي يعيشه المسلمون كأفراد ولكن أفراد في موضع المسئولية وفي موضع القيادة، وأن يتعاملوا في محيط العلاقات الدولية بعزة ومنعة ورفعة دون ظلم أو تعد أو بغي أو عدوان، ولكن في ذلة وخضوع للمسلمين، وفي عزة ورفعة على غير المسلمين وشعور بعظمة المنهج القرآني الذي يتبعونه؛ وأنه لا بد له من أن يسود العالم كله وأن يخضع له المسلمون وغير المسلمين في شتي بقاع الأرض؛ ذلك تصديقا لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[الصف:٩] ولا يمكن أن يحدث هذا الأمر إلا إذا كان المسلمون متمتعين بالعزة والرفعة، وأنهم يرفضون الشعور بالذلة والمهانة وأنهم ليسوا دون الأمم الأخرى في كل شيء؛ بل يجب أن يكونوا في طليعتها، وفي مقدمتها حتى تتحقق لهم الشهادة على جميع الأمم، وهي المنحة التي ربطها الله سبحانه وتعالى بتحقيق طاعته واجتناب معاصيه وتحقيق معاني العزة كلها في جميع أمور حياتهم؛ ومن ثم فلا بد من أن تتصف الدول الإسلامية بصفة العزة في جميع تعاملاتها مع غيرها من الأمم والدول الأخرى - غير الإسلامية - مع خفض الجناح والحب والود لكل ما هو إسلامي.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الكتابة في موضوع العزة في النواحي الآتية:

(١) إعادة الكتابة في الفقه السياسي الإسلامي بطريقة تتفق وتتماشي مع التطور الكبير الواقع في الفقه السياسي المعاصر، ودون التفريط أو الإهمال في أحكام الشريعة الإسلامية، ولكن مع التشبث والتمسك بأحكامها في كل صغيرة وكبيرة في كل مناحي الحياة، أو نقف كما يقف بعض الكتاب المعاصرين الآن في كتابتهم السياسية من نقد لاذع لهم أو الموازنة بينهم، وتقديم بعضهم وتأخير الباقين، أو وصمهم بالتقليد وأن كتاباتهم ما هي إلا أخلاق ومُثُل عليا لا ترقى أن تكون قواعد وأسس سياسية يسير عليها النظام السياسي في الدولة، كل هذا وغيره دفعني إلى الكتابة في الفقه السياسي بطريقة جديدة تجمع بين الأصالة والتجديد، وبين القديم والحديث مع ربط المسائل بالنصوص الشرعية من الكتاب الكريم والسنة النبوية والواقع الذي نعيشه والتطور الكبير في الفقه السياسي الوضعي.

(٢) محاولة تغيير الوضع الراهن الموجود والمخالف لأحكام الشريعة الإسلامية في كثير من المسائل السياسية حتى أضحي القول المشهور هو أن السياسة تختلف عن الدين وأن الدين ليس فيه سياسة؛ أي ـ لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ـ وذلك لمخالفة كثير من السياسيين لأحكام الشريعة في الكلام والأفعال التي تصدر عنهم؛ بحجة أن الشريعة الإسلامية يجب أن تكون بمنأى عن السياسة كما حدث ذلك في الغرب النصراني، وهذا الكلام غير صحيح ومخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية.

(٣) لعلنا نعذر فقهاءنا السابقين الذين سبقوا وقاموا بالكتابة في الفقه السياسي وقد اقتصروا على النقل ممن سبقهم واقتصار كتبهم على توجيه النموذج الأخلاقي الذي يجب أن يتبعه الحاكم دون الاهتمام بذكر القواعد الحاكمة للحاكم والمحكوم ـ بالتفصيل الذي يتناسب مع كل عصر تم فيه تأليف مؤلف منها ـ ومحاولة الربط بين

الواقع وبين النصوص كما فعل ابن خلدون ومن جاء بعده؛ فقد اعتمد عليه، والسبب في هذا أن المجتمع كانت تحكمه قواعد الإسلام وأن الحاكم كان في كثير من المسائل يعتمد على الفقهاء في استخراج الأحكام الشرعية التي تحكم الواقعة الموجودة.

(٤) جاء في الحديث الذي روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[١] فالرسول ﷺ جعل الكلمة هي نفس الحكمة والمراد بالكلمة الحكمة المفيدة، والحكمة هي التي أحكمت مبانيها بالعلم والعقل، والحكيم هو المتقن للأمور الذي يبحث في دقائق الأمور وأغوارها، فالحكمة ضالة المؤمن؛ أي مطلوبة فلا يزال يطلبها ويبحث عنها فحيث وجدها فهو أحق بها؛ وذلك لأن الناس متفاوتة في الإقدام على فهم المعاني واستنباط الحقائق المحتجبة واستكشاف الأسرار المرموزة فمن قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق الأحاديث ينبغي أن لا ينكر على من رزق فهمها وألهم تحقيقها[٢]. وكذلك الحال في العلوم السياسية التي برع فيها الغرب وبقينا نحن في موقعنا ومعنا تراثنا السياسي الذي تركه لنا أجدادنا دون أن ندرسه دراسة واعية متفهمة له، ومتتبعة لكل ما فيه من نقص فنكمله أو مجمل فنوضحه أو تعديل فيه بما يوافق العصر الذي نعيش فيه فنقوم به، ونكمل تطوره بما يحقق لنا محاولة تغيير وضعنا الراهن، ونجتهد كما اجتهدوا في أيامهم وحياتهم وأن نفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة فهماً صحيحاً ونرفع عن كاهلنا غبار وأثقال التقليد والهزيمة الروحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية وغير ذلك من الأمور التي تهم المسلمين الآن.

---

(١) سنن الترمذي جـ ٥/ ٥١/ ٢٦٨٧/ كتاب أبواب العلم /باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة /قال أبوعيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه، إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه.

(٢) فيض القدير جـ ٥/ ٦٥، لعبد الرءوف المناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ، ط: الأولي، مصر.

(٥) إن موضوع العزة من الموضوعات المهمة للإنسان في حياته الفردية وكذلك الحال بالنسبة للأمة الإسلامية كلها، وللدول الإسلامية مجتمعة ومنفردة فيجب تطبيق العزة في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والعلمية والثقافية، وذلك دون اعتداء على الغير، ولكن تحققا لمعاني العزة التي نص الله تعالىٰ عليها في كتابه العزيز، وتطبيقاً لها كما طبقها الرسول ﷺ والصحابة من بعده، وليس المقصود بالعزة هنا هو التصرف الفردي والشخصي، وإنما المقصود هو أن يكون المجتمع الإسلامي كله أفراداً وجماعات يتصف بالعزة في التكوين التربوي والجسدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، سواء أكان ذلك في المؤسسات التعليمية أم في محيط الأسر، أم في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعود بالنفع على المسلمين. والله تعالىٰ من وراء القصد وهو نعم المولي ونعم النصير.

المبحث الأول
تعريف العزة في الفقه الإسلامي وبيان مفهومها السياسي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأولى
تعريف العزة في اللغة

توجد للعزة معاني كثيرة في اللغة العربية منها:

(١) العزة: هي الغلبة والقوة وهي مأخوذة من الفعل عزز: تقول عَزَّ يَعِزّ، عِزّاً وعِزَّةً، ورجل عَزِيزٌ من قوم أَعِزَّة و أَعِزَّاء. والعَزِيزُ: من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى؛ قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب لكل شيء، وقيل العزيز: هو المنيع القادر على أن يمنع ولا يُمنع لأن أصل العزة الامتناع، وقيل: هو الذي ليس كمثله شيء. ومن أسمائه عز وجل المُعِزُّ، وهو الذي يَهَبُ العِزَّ لمن يشاء من عباده.

(٢) والعِزُّ: هو الترفع والاستعلاء وهو خلاف الذُّلِّ. وفي الحديث: «قال الرسول ﷺ لعائشة: هل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟. قالت: قلت: لا. قال: تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقى، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط»[1] أي تَكَبُّراً وتشدُّداً على الناس، وجاء في بعض نسخ مسلم: تَعَزُّراً، براء بعد زاي، من التَّعزير والتوقير، فإما أن يريد توقير البيت وتعظيمه أو تعظيمَ أنفسهم وتَكَبُّرَهم على الناس. والعِزُّ في الأَصل: القوة والشدة والغلبة.

(١) صحيح مسلم جـ ٢/٩٧١/ ١٣٣٣/كتاب الحج/ باب نقض الكعبة وبنائها للإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري/ت/ ٢٦١هـ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وصحيح بن خزيمة جـ ٤/٢٣٢/ ٢٧٤١/ كتاب المناسك /باب ذكر الدليل على صحة ما تأولت قول ابن عباس؛ والبيان أن بعض الحجر من البيت لا جميعه /للإمام أبي بكر السلمي: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري /ت/٣١١هـ / طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م، تحقيق: محمد مصطفي الأعظمي.

(٣) والعِزُّ والعِزَّة: الرفعة والامتناع، وفي التنزيل العزيز: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨]؛ أي له العِزَّة والغلبة سبحانه. وفي التنزيل العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر:١٠]؛ أي من كان يريد بعبادته غير الله فإنما له العِزَّة في الدنيا و العِزَّة جميعاً أي يجمعها في الدنيا والآخرة بأن يَنْصُر في الدنيا ويغلب؛ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]؛ أي أنهم غلاظٌ على الكافرين ليّنو الجانب على المؤمنين؛ قال الشاعر:

بِيض الوُجُوهِ كَرِيمَة أَحْسابُهُمْ ... في كلِّ نائِبَةٍ عِزاز الأَنْفِ

قال الأزهري: يَتَذَلَّلُون للمؤمنين وإن كانوا أَعِزَّةً ويَتَعَزَّزُون على الكافرين وإن كانوا في شَرَف الأَحْساب دونهم. وأَعَزَّ الرجلَ: جعله عَزِيزاً. ومَلِكٌ عَزِيزٌ: أي مَنِيع لا يُغْلب ولا يُقْهر. إذا قوي بعد أن كان ذليلا. وعَزَزْتُ القومَ وأَعْزَزْتُهم وعَزَّزْتُهم: قَوَّيْتُهم وشَدَّدْتُهم. وفي التنزيل: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[يس:١٤] أي قَوَّينا وشَدَّدنا، والعِزَّة: هي القوَّة والغلبة[١].

(١) لسان العرب جـ ٥/ ١٧٤ - ٢٧٩ للإمام : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري /ت/ ٧١١هـ، طبع: دار صادر بيروت، ط: الأولى، والقاموس المحيط ص ٦٦٤ للإمام محمد بن يعقوب الفيروز أبادي /ت/ ٨١٧هـ، والعين جـ ١/ ٧٧ للإمام : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت/ ١٧٥هـ، طبع دار الهلال، تحيق : د/ مجدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، والمصباح المنير جـ٢/ ٧، للإمام : أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي /ت/ ٧٧٠هـ، طبع المكتبة العلمية، بيروت .

المطلب الثاني
تعريف العزة في الاصطلاح

العزة: هي حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلب. وهي القوة والغلبة والمنعة والرفعة، والعزة قد يمدح بها كقوله تعالىٰ: ﴿... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨]وقد يذم بها كعزة الكفار قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[ص:٢] والعزة التي لله ورسوله والمؤمنين هي: العزة الحقيقية الدائمة الباقية، وعزة الكفار هي التعزز وهي في الحقيقة ذل[١] وقيل العِزَّة: هي المَنَعَةُ والقُدْرة، وهي من قولك عزَّ الشيءُ إذا اشتدَّ[٢].

المطلب الثالث
المفهوم السياسي للعزة

قد سبق تعريف العزة في الاصطلاح وأنها تتضمن الرفعة والامتناع والغلبة والقوة، وإذا أردنا أن نعرفها تعريفا يتفق مع المعنى السياسي الذي نريده منها والذي نفهمه من كلام الله سبحانه وتعالىٰ المذكور في القرآن الكريم نقول:

بأن العزة هي: صفة مانعة للدولة من أن تُقْهر وتُغْلب لحيازتها أسباب القوة وقدرتها على اتخاذ قراراتها بدون تدخل من أي دولة أخرى وإرضائها الله سبحانه وتعالىٰ فيما تفعل.

وتوضيح التعريف هو أن هذه الدولة تتمتع باستقلالها وقدرتها على اتخاذ أسباب القوة والرفعة والعزة والمنعة من أن تنال بأذى أو أن تخضع لسيطرة دولة أخرى عليها وعلى اتخاذ قراراتها بل هي في صعيد العلاقات الداخلية والخارجية تتمتع بالقوة والمنعة اللذين يجعلانها في مرتبة الدول العظمى، وأما تركها لطاعة الله مع أنه السبيل الأساسي لنيل العزة؛ فإن هذه الصفة مرتبطة بالإيمان بالله تعالىٰ وهذا

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي ص ٥١٢ للشيخ : محمد عبد الرءوف المناوي/ت٩٥٣هـ، طبع دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ ط: الأولي، محمد رضوان الداية .

(٢) المزهر ص ٦٥ : للإمام أبي بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي /ت٩١١هـ.

الإيمان لا يوجد إلا عند المسلمين فقط، ومع هذا فنجد غير المسلمين يتمتعون بالعزة الغير شرعية وهي التي لا ترتبط بالإيمان وإنما ترتبط بأسباب القوة والكثرة وغير ذلك مما سيأتي ذكره فإذا ترك المسلمون إيمانهم وطاعتهم لله تعالىٰ أصبحت العزة لغيرهم وإذا استمسك المسلمون بالإيمان والطاعة وتطبيق شرع الله تعالىٰ عادت لهم العزة المرتبطة بشرع الله تعالىٰ مع الوضع في الحسبان أنهم ربما يكونون أقل عددا وأقل عدة كما ذكره الله تعالىٰ في كتابه فقال: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]

وحين النظر في قواعد القانون الدولي والبحث عن هذه المعاني وخصوصاً في ميثاق الأمم المتحدة والذي يعد أفضل قواعد القانون الدولي في عصرنا الحالي والتي يلتزم بها الآن معظم دول العالم في شتي بقاع الأرض سواء أكانت موافقة عليه أم لا، نجد أن هذه المعاني قد نص عليها الميثاق وخص بها مجموعة من الدول هي الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية والتي فرضت إرادتها على المجتمع الدولي كله بما فيه ذلك جميع الدول الإسلامية فمن ذلك ما نصت عليه في المادة (٢٧) من ميثاق الأمم المتحدة والخاصة بالتصويت في مجلس الأمن والتي جاء فيها «١ـ يكون لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد. ٢ـ تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الإجرائية بموافقة تسعة من أعضائه. ٣ـ تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأخرى كافة بموافقة أصوات تسعة من أعضائه يكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة، بشرط أنه في القرارات المتخذة تطبيقا لأحكام الفصل السادس والفقرة (٣) من المادة (٥٢) يمتنع من كان طرفا في النزاع عن التصويت». والذي يهمنا في هذه المادة هو ما نصت عليه الفقرة الثالثة من إعطاء الدول الخمس

المنتصرة في الحرب العالمية الثانية حق الاعتراض أو الفيتو على أي قرار يصدر من مجلس الأمن من شأنه أن يعيق أو يؤثر من قريب أو من بعيد على مصالح هذه الدول الخمس وهي إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي - روسيا اليوم - والصين وفرنسا فإذا أصدر المجلس قراراً ما؛ فإنه يحق لهذه الدول الاعتراض عليه وإيقافه ومن ثم يصبح القرار عديم الفائدة وقد اعترضت الدول الأخرى على هذا النص ولكن في ظل تمسك الدول الخمس الكبرى به وافقوا مرغمين عليه[1]، وقد ترتب على هذا النص وجود نظام الوصاية وهو يعد تطويراً لنظام الانتداب أو السيطرة على الدول التي انهزمت في الحرب العالمية الأول والثانية ومعظم هذه الدول من الدول الإسلامية التي كانت محتلة من بريطانيا أو فرنسا أو غيرها من الدول الأوربية [2].

يتضح من خلال ذلك أن الدول الخمس جعلت نفسها في منعة وعزة من أن تنال بقرار ما من مجلس الأمن فأعطت نفسها حق الاعتراض ونقد هذا القرار ومن ثم يصبح القرار عديم الفائدة وأصبح هذا الحق مشروعاً ومنصوصاً عليه في ميثاق الأمم المتحدة أكبر المنظمات الدولية الموجودة على الساحة ولم تستطع باقي الدول الأخرى مجتمعة مع أنها أكثر بكثير من الدول الخمس منع صدور هذا النص وهذا الحق غير الشرعي وغير القانوني، وأصبحت الدول الإسلامية تابعة بهذا النص لأي قرار يصدر من مجلس الأمن. ومن يلاحظ الفترة الأخيرة من محاولة الدول العربية والإسلامية من استصدار قرار يدين العنف الإسرائيلي أو يجعلها ترجع إلى حدود عام (١٩٦٧م) وهي الحدود التي كانت لها مع أنها دولة مغتصبة للأرض، وليس لها أي سند قانوني في ذلك، ومع هذا فقد وافقت الدول العربية أن لها حدوداً هي

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : الأمم المتحدة في نصف قرن، د/ حسن نافعة، ص ٧٢، ٧٣، ١٢٧، سلسلة عالم المعرفة عدد (٢٠٢) شهر أكتوبر (١٩٩٥م) .

(٢) انظر: نصوص الميثاق الفصل الثاني عشر المتعلق بنظام الوصايا، والثالث عشر المتعلق بمجلس الوصايا من المادة (٧٥-٨٥، ٨٦-٩١) الأمم المتحدة في نصف قرن، د/ حسن نافعة، ص ١٦٠، ومابعدها.

حدود عام (١٩٦٧م) قبل العدوان على الدول العربية، ومع هذا لم تفلح الدول العربية والإسلامية مجتمعةً من استصدار أي قرار في هذا الشأن وذلك لاستخدام أمريكا لحق النقد الفيتو ضد أي قرار يدين إسرائيل من قريب أو من بعيد، كما أن أمريكا حذرت الدول العربية من القيام بأي عمل عسكري ضد إسرائيل المعتدية والمغتصبة للأرض والسافكة للدماء الفلسطينية، أو أية محاولة قتالية يكون الهدف منها هو استعادة فلسطين من أيدي اليهود مرة ثانية، مما أدي إلى إظهار الدول الإسلامية في موقف الذلة والانكسار وعدم الشعور بالعزة في اتخاذ أي قرار سياسي دولي يعيد القدس والأراضي الفلسطينية إلى حظيرة الدولة الإسلامية مرة ثانية.

ولعل السبب في انعدام العزة بالمفهوم السياسي الذي نريده من الدولة المسلمة والذي سبق وأن اتصفت به مرات عديدة في التاريخ الإسلامي - من أول عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة الكرام وتابعيهم ثم في فترات قليلة أخرى من التاريخ كمحاولة سيف الدين قطز القضاء على التتار الذين قضوا على الخلافة الإسلامية في بغداد عام (٦٥٦هـ) ثم جاء من بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي وقام باسترجاع المسجد الأقصى الذي ظل أسيراً في يد الفرنجة - أوربا - لمدة تقرب من مائة عام - ثم تمر الأيام سراعا بين شد وجذب بين المسلمين وغير المسلمين ثم يحدث الحدث الجلل وهو خضوع العالم الإسلامي بأسره في حظيرة الدول الغربية وقيام الدول الإسلامية بتطبيق أحكام القانون الوضعي في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الإسلام يطبق في نطاق ضيق هو مسائل الأحوال الشخصية مما ترتب على ذلك ضياع الهوية الإسلامية وأن المسلمين أصبحوا مقلدين للغرب في كل شيء وصدق فينا معنى قول الرسول ﷺ من أننا سوف نتبع سنن الذين من قبلنا شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وقد سئل الرسول ﷺ عن هؤلاء الذين نتبعهم، فأخبر بأنهم اليهود والنصارى، فإذا أردنا أن تعود العزة إلينا مرة ثانية فلا بد لنا من أن نعود إلى كتاب ربنا سبحانه وتعالىٰ وسنة نبينا ﷺ فطبقناهما في حياتنا الدنيوية حتى يعطينا الله تعالىٰ العزة التي ذكرها في كتابه العزيز.

المبحث الثاني
أقسام العزة في الفقه الإسلامي

(أ) القسم الأول: العزة الشرعية وهي التي تكون لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين:

هذه العزة قد ذكرها الله تعالىٰ في القرآن الكريم وهي تتنوع إلىٰ نوعين عزة لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ وعزة للمؤمنين وتوضيح ذلك يكون على النحو التالي:

[١] العزة لله سبحانه وتعالىٰ ولرسوله ﷺ:

أنواع العزة مستفادة من القرآن الكريم في آيات متفرقة والسنة النبوية المطهرة فمن ذلك:

(أ) قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر:١٠] وجه الدلالة من الآية أن الله تعالىٰ يخبر عبادة بأن العزة تكون لعبادته هو سبحانه وتعالىٰ، وليس في عباده غيره من الآلهة الأخرى ؛ كالأصنام والأوثان والهوى وغير ذلك مما يتخذه الناس آلهة من دون الله تعالىٰ، فالعزة كل العزة تكمن في عبادة الله تعالىٰ وفي طاعته لأن سياق الآيات السابقة على هذه الآية يؤكد هذه الحقيقة وهذا المعني[1]، والله سبحانه وتعالىٰ يريد أن ينبه ذوي الأقدار والهمم على شيء مهم وهو من أين تنال العزة ومن أين تستحق فتكون الألف واللام في العزة للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة ؛ فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده إن شاء الله تعالىٰ[2] والله تعالىٰ هو العزيز الحكيم وقد ذكرت في سورة إبراهيم وأما مطلق

---

(١) تفسير الطبري جـ٢٠/١١٩، للإمام : أبي جعفر محمد بن جرير بن خالد الطبري /ت٣١٠هـ، طبع دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٥هـ، وتفسير بن كثير جـ٣/٥٥٠، للإمام: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمقشي/ ت/٧٧٤هـ، طبع : دار الفكر، بيروت،١٤٠١هـ.

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٤/٣٢٨، للإمام : أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي/ ت/٦٧١هـ، طبع: دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ط: الثانية، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني .

العزيز الحكيم فأول ما وقع في سورة البقرة في دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل مكة قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩] وتكرر ذكر لفظ العزيز الحكيم وعزيز حكيم بغير ألف ولام فيهما في عديد من السور، وأما الآية الثانية ففي إضافة العزة إلى الربوبية إشارة إلى أن المراد بها هنا القهر والغلبة[١]، ومفهوم العزة لله تعالى يعد حقيقة وهذه الحقيقة كفيلة حين تستقر في القلوب أن تبدل المعايير كلها، وتبدل الوسائل والخطط أيضاً ! إن العزة كلها لله. وليس شيء منها عند أحد سواه. فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره. ليطلبها من عند الله تعالى، وإذن فمن كان يريد العزة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول، لا إلى الآخذ المستمد من هذا المصدر[٢].

(ب) قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يونس:٦٥] والمعني الذي تدل عليه الآية. هو أن العزة لله أي القوة الكاملة والغلبة الشاملة والقدرة التامة لله وحده، فهو ناصرك ومعينك ومانعك ومانع من معك، ولا يوجد تعارض بين هذه الآية وبين الآية السابقة حيث إن الأصل أن العزة هي منبثقة من الإيمان بالله تعالى، والرسول ﷺ مبلغ عن الله تعالى آياته والمؤمنون مؤمنون بما أنزله الله تعالى[٣].

(ج) قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: ١٨٠] ووجه الدلالة من الآية هو أن الله سبحانه وتعالى نزه نفسه عما أضاف إليه

(١) فتح الباري جـ ٣٦٩/١٣، للإمام : أبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني الشافعي /ت ٨٥٣هـ، طبع: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ، تحقيق : محمد فواد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب .

(٢) تفسير في ظلال القرآن تفسير سورة فاطر آية (١٠) ملفات وورد منزلة من على النت، وأيضاً من على الموسوعة الشاملة.

(٣) تفسير القرطبي جـ ٣٥٩/٨، وتفسير الطبري جـ ٣٢٩/٥.

المشركون ومعنى رب العزة عما يصفون أي من الصاحبة والولد، والعزة من صفات الذات المقدسة وهي التي يتعزز بها الخلق بالتعلق بأحكام الله تعالىٰ، ورب العزة يحتمل وجهين أحدهما: مالك العزة، والثاني: رب كل شيء متعزز من ملك أو متجبر[1].

(د) قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨] وجه الدلالة من الآية: هو أن الله تعالىٰ حكي عن المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر هذه المقالة التي فيها تبيان من هو الأعز من الأذل؛ فبين لهم الله تعالىٰ أن العزة تكمن في التمسك بحبل الله تعالىٰ وهو القرآن الكريم وإتباع رسوله ﷺ فيما أوحي إليه والسير مع جماعة المؤمنين والتمسك بطريقتهم وعدم الخروج عنهم أو مخالفتهم فيما ذهبوا إليه حتى تتحقق العزة المطلوبة، ويوضح ذلك سبب نزول السورة، وهذه الآيات توضح هذه المعاني[2].

(هـ) قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦] ووجه الدلالة من الآية هو أن الله سبحانه وتعالىٰ هو المالك لكل شيء في الدنيا والآخرة، وأنه سبحانه هو المتصرف في كل شيء؛ لأنه القادر على فعل أي شيء دون أن يمنعه أحد من خلقه، فهو الذي يعطي الملك لمن يشاء حتى وإن كان هذا الإنسان غير مسلم، وقد يعززه بذلك ويمنع منه المسلم إذا لم يلتزم بأحكام القرآن الكريم وبأحكام السنة النبوية؛ بل قد يسلط عليه عدوه حتى يرجع إلى التمسك بالقرآن والسنة[3].

(١) تفسير القرطبي جـ ١٥/ ١٤٠، ١٤١، وتفسير الطبري جـ ٢٣/١١٦، وتفسير ابن كثير جـ ٤/٢٦.
(٢) لمعرفة ذلك انظر : تفسير القرطبي جـ١٨/ ١٢٠-١٢٩، وتفسير ابن كثير جـ ٤/ ٣٧٠، ٣٧١.
(٣) بتصرف من : تفسير الطبري جـ ٣/٢٢٢.

(و) قال تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح: ٩] ووجه الدلالة من الآية الكريمة هو: أن الإنسان ملتزم بأن يؤمن بالله تعالىٰ وأن يدافع عن هذا الإيمان ويثبته بالبراهين الساطعة، وأن يلتمس رضا لله تعالىٰ بذلك وهو يدافع عن هذه العقيدة ضد المشركين والمنافقين والمشككين وغير ذلك[1].

(ز) المفهوم السياسي للآيات السابقة:

١ = يتضح مما سبق من بيان وجه الدلالة من الآيات القرآنية السابقة أن الله سبحانه وتعالىٰ يريد من المسلمين أن يتنبهوا إلى هذه الحقيقة المهمة وهي أن السيطرة وحيازة القوة الغالبة التي لا تقهر تكمن في الانقياد له سبحانه وتعالىٰ، والتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيق شرع الله سبحانه وتعالىٰ، وليس في اتباع الغرب أو الشرق (غير المسلمين) في أفكارهم وسلوكهم ومعتقداتهم وطريقة حياتهم، وهي التي تخالف طريقة الإسلام ـ القرآن والسنة ـ وترك الإسلام كليا أو جزئيا، وهذه الطريقة هي التي حذرنا منها الرسول ﷺ حينما كان ذاهباً إلى غزوة حنين كما روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع فقيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال: ومن الناس إلا أولئك»[2]. وهذا الأمر بخلاف ما يوافق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أو ما يحقق مصلحة للمسلمين ولا يخالف حكما من أحكام الإسلام. وقد ورد الحديث بطريقة أخري وهي ما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

(١) بتصرف من : تفسير القرطبي جـ١٦/٢٦٧ .

(٢) صحيح البخاري جـ٦/٢٦٦٩/٦٨٨٨/كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، للإمام : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي /ت/ ٢٥٦هـ، طبع: دار ابن كثير واليمامة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ط: الثالثة، تحقيق : د/ مصطفي ديب البغا.

بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى. قال: فمن»[1] والمعني واضح الدلالة: في انقياد المسلمين لغير المسلمين في شتى مناحي الحياة وانصهار شخصيتهم في شخصية غير المسلمين حتى أصبحت الشخصية المسلمة مطموسة المعالم أو غير موجودة سواء في صعيد العلاقات الدولية الخارجية للدولة الإسلامية أو على الصعيد الداخلي، وأصبحت الدول الإسلامية منقادة للغرب في كل شيء، مما يقوله ويفعله دون أن يكون لهم رأي مؤثر في العلاقات الدولية أو حتى داخل دولهم مما أدي إلى ضياع هويتهم وعزتهم التي أمرهم الله تعالىٰ بها.

٢= قام الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم بتطبيق العزة في قلوبهم وفي واقعهم الذي كانوا يعيشون فيه وترجموا هذه العزة إلى حقيقة تمثل الإسلام في أزهي صوره وتمثل ذلك في اعتزازهم بالمنهج الذي يسيرون عليه، وفي تمسكهم بأحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة مما أدي إلى ظهور الدولة الإسلامية القوية الفتية التي تزاحم وتنافس دولتي الفرس والروم، واللتين كانتا تتمتعان بسلطان كبير على العالم كله، أو هما قطبا العالم في ذاك الزمان فلم يرهبهم قوة الفرس ولا قوة وعتاد الروم؛ بل حملوا القرآن الكريم والسنة النبوية وذهبوا يدعون الناس إلى عبادة الله تعالىٰ وترك عبادة ما سواه من الآلهة والأوثان والأصنام التي يعبدونها ويتعززون بها؛ فقد روي عن ربعي بن عامر أنه قال لرستم قائد الفرس حينما بعث إليه ليكلمه في أمور القتال، فسأله من أرسله فكان جوابه تلخيصاً لرسالة الإسلام وقياماً بالمهمة في عزة وقوة وثبات على الحق «اللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ؛ فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ، لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَّا ذَلِكَ قَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَتَرَكْنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا، حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ». قَالَ: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟

(١) صحيح البخاري جـ٦/٢٦٦٩/٦٨٨٩/كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم.

قَالَ: «الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفْرِ لِمَنْ بَقِيَ...»[1] هكذا كان الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم يعرضون الإسلام وهم يقاتلون أقوي الدول الموجودة في عصرهم وهي الفرس والروم ويخاطبونهم بالقرآن في ثقة وثبات وعزة نفس ورباطة جأش دون أن تلين لهم قناة أو تضعف لهم عزيمة، فلا يؤثر فيهم كثرة عدد وعدة عدوهم بل الهدف هو تبليغ الناس رسالة الإسلام بشتى الطرق وبشتى الوسائل المشروعة ولو تتطلب ذلك دفع أرواحهم لهذا الأمر لدفعوها رخيصة في سبيل رضاء الله سبحانه وتعالىٰ عليهم ورضاء رسوله ﷺ. وما زال الأمر كذلك بالنسبة للمسلمين في هذا العصر إذا أرادوا أن يكون لهم ما كان للصحابة رضوان الله عليهم ـ مع الوضع في الحسبان تميز الصحابة عنا بصحبة النبي ﷺ وغير ذلك من الأشياء ـ فالمنهج واحد والطريق واحد والقرآن والسنة واحد ؛ فإذا أردنا العزة تشبثنا وتمسكنا بما تمسك به الصحابة وطبقوه في عصرهم.

٣= ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أصدق قول عمر بن الخطاب ﷺ حينما قال ـ لأبي عبيدة بن الجراح ﷺ حينما طلب منه أن يلبس أفضل الثياب لمقابلة بطاركة القدس لاستلام المدينة ـ: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ»[2] هذه هي الحقيقة التي يجب أن يلتفت لها حكام المسلمين ومحكوموهم أن العزة كل العزة فيما أنزله الله تعالىٰ وليس في تقليد الغرب أو الشرق أو تقليد غير المسلمين واتباع أسلوب حياتهم؛ بل العزة تكمن في طاعة

(١) تاريخ الطبري جـ ٢/ ٤٠١، للإمام محمد بن جرير الطبري /ت٣١٠هـ، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٠٧هـ الأولي.

(٢) المستدرك جـ ١/ ١٣٠/ ٢٠٧/ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لاحتجاجهم جميعا بأيوب بن عائذ الطائي وسائر رواته ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث الأعمش عن قيس بن مسلم. المستدرك علي الصحيحين للإمام: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري /ت/ ٤٠٥هـ، طبع دار الكتب العلمية بيروت، عام ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، ط: الأولي، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا.

الله تعالىٰ وانقياد المسلم له حاكما أو محكوما في جميع شئون الحياة كبيرها وصغيرها، عظيمها وحقيرها فإذا أردنا ـ نحن المسلمين حكاماً ومحكومين ـ العزة في عصرنا الحالي لابد لنا أن نتمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا في السياسة والاقتصاد والاجتماع وفي شتى مناحي الحياة، مع الوضع في الحسبان أن الحكمة هي ضالة المؤمن فأني وجدها فهو أحق بها: فكل ما يصلح حال المسلمين من مستحدثات الحياة المعاصرة ولا يخالف نصا من القرآن الكريم والسنة النبوية يجب العمل به؛ لأنه مما يحقق العزة للمسلمين ويرفع من شأنهم ويزيد من قوتهم ويجعلهم في مقدمة الأمم الأخرى وإذا كانت سنة الله تعالىٰ غالبة في الخلق فقد وعدنا الله سبحانه تعالىٰ إن نحن نصرنا شريعته وطبقناها أن ينصرنا ويجعلنا خير أمة أخرجت للناس؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد: ٧].

[٢] العزة للمؤمنين:

(أ) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] وجه الدلالة من الآية الكريمة: هو أن الله سبحانه وتعالىٰ يحذر عباده المؤمنين من الارتداد وترك الإسلام وإتباع سبيل غير المؤمنين فإن هم فعلوا ذلك فسوف يستبدل الله سبحانه وتعالىٰ أناساً غيرهم، يكونوا هم عباده المخلصين، الذين وصفهم الله تعالىٰ بالرأفة والرحمة وخفض الجناح للمؤمنين والترفع والتعزز عن غير المسلمين فيما يقولونه ويفعلونه، وليس هذا من باب الظلم والتعدي؛ بل هو من باب إحقاق الحق والتميز لشخصية الدولة المسلمة عن غيرها من الشخصيات الدولية الأخرى الموجودة في العالم؛ لأن من يحمل القرآن الكريم والسنة النبوية لابد من أن يجاهد أعداء الله تعالىٰ وأعداء المسلمين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله تعالىٰ بأفواههم أو بأسلحتهم وأساليبهم ومكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

الرواسي، ولكن فضل يؤتيه لمن يشاء من عباده الذين آمنوا واتبعوا النور الذي أنزل على محمد ﷺ فلا بد من أن يجاهدوا هؤلاء الأعداء وأن يبلغوا رسالة الله تعالىٰ إلى جميع الخلق حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تعالىٰ [1].

(ب) قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] قد سبق بيان وجه الدلالة من الآية الكريمة وهي أنها تبين أن العزة تكون في الإيمان بالله تعالىٰ وإتباع رسوله ﷺ ولزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج عليهم فإذا خالف الإنسان هذه المعاني الإيمانية القيمة وأظهر شيئاً من الإسلام وأبطن خلافه من الكفر والنفاق فهو من المنافقين الذين سيفضحهم الله تعالىٰ في الدنيا ويوم القيامة لهم عذاب شديد.

(ج) قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٣٤] وجه الدلالة من الآية الكريمة هو أن الله سبحانه وتعالىٰ قد حكي سنة كونية تقع في كل مكان وفي كل زمان، وهي أن حكام الدولة المنتصرة في الحرب يقومون بتغيير الأوضاع السياسية في الدولة المنهزمة؛ وذلك حتى يستقيم لهم الأمر ولعل الواقع الإسلامي المعاصر يؤكد هذه الحقيقة حيث سيطر الغرب على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك.

(هـ) روي عن أبي ريحانة أن النبي ﷺ قال: «مَنِ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ، يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَامَةً، فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ»[2]. والحديث واضح الدلالة في

(١) بتصرف من : تفسير القرطبي جـ٦/٢١٩، ٢٢٠

(٢) مجمع الزوائد جـ٨/٨٥/باب فيمن افتخر بأهل الجاهلية /قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات، للإمام : على بن أبي بكر الهيثمي /٨٠٧هـ، طبع : دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، عام ١٤٠٧هـ

تمحيص المسلم في الاعتزاز بالله تعالىٰ وبالقرآن الكريم وفي اتباع الرسول ﷺ وليس في الاعتزاز بالأهل والآباء وبما كان يفعله كثير من الناس حتى في أيامنا هذه من التشدق بحضارة المصريين القدماء أو العراقيين وغير ذلك من النعرات المخالفة لمنهج القرآن الكريم والتي لا تريد أن تربط الناس كلهم على اختلاف جنسهم ولونهم بالله تعالىٰ وبالقرآن الكريم.

(و) وروي عن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اعتز بالعبيد أذله الله تعالى»[1]. والحديث واضح الدلالة في تحذير المسلمين من الاعتزاز بغير الله تعالىٰ والارتكان عليه فمن تعزز بأي إنسان كان هذا الإنسان مسلماً أو غير مسلم حاكماً أو محكوماً غنياً أو فقيراً قوياً أو ضعيفاً، فكل ذلك يورث صاحبه الذلة والمهانة ؛ فيجب على المسلمين أن يعتزوا بالله تعالىٰ.

(ز) المفهوم السياسي للآيات والأحاديث السابقة:

(أ) من السنن الكونية التي ربطها الله تعالىٰ بالإيمان بالله تعالىٰ والتمسك بطاعته العزة وخفض الجناح للمؤمنين والترفع عن طريق غير المسلمين وتميز شخصية المسلم عن غيرها من الشخصيات الموجودة في العالم أو تحقيق سنة الاستبدال لهؤلاء الناس الذين أظهروا الإيمان ولم يحققوه في حياتهم الدنيوية لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا اقتصادياً، بل ربما يصل الأمر إلى معاقبتهم بتسليط عدوهم عليهم كما روي عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، لَيُلْزِمَنَّكُمُ اللَّهُ مَذَلَّةً فِي رِقَابِكُمْ، لَا تَنْفَكُّ عَنْكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَتَرْجِعُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ»[2]، ومن ينظر في الواقع

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذي جـ ٢/ ٣٠٠، وجـ ٤/ ١٣٨، للإمام : أبي عبد الله محمد بن على بن الحسن الحكيم الترمذي، طبع : دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ط: الأولى، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٢/ ٤٢/ ٥٠٠٧، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني /ت/ ٢٤١هـ طبع: مؤسسة قرطبة، مصر،، وفي الدراية في تخريج أحاديث الهداية : للإمام أبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني /ت/ ٨٥٢هـ طبع: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: السيد عبده هاشم اليماني،=>

المعاصر يتأكد بأن هذه الحقيقة موجودة وواقع فيها المسلمون، وليس المقصود بالجهاد المعني الخاص بالقتال بل الجهاد في القرآن الكريم والسنة النبوية يشمل ثلاثة أنواع: الجهاد باللسان والدعوة إلى الله تعالىٰ، والجهاد بالمال، والجهاد بالقتال، والأنواع الثلاثة يستخدمها المسلمون على حسب الظروف والأحوال الموجودة أمامهم، ولا يجوز للمسلمين أن يبدؤوا غير المسلمين بالقتال إلا إذا أخبروهم أولاً بالدخول في الإسلام. وهذه الصورة للقتال هي التي تظهرها تمسك المسلمين بالقرآن الكريم واعتزازهم بالله تعالىٰ ؛ لأن الهدف ليس هو القتال وسفك دماء غير المسلمين؛ بل الهدف هو دخول الناس جميعا في دين الله تعالىٰ أفواجاً أو إقامة الحجة عليهم وتركهم على معتقداتهم دون إلحاق الأذى بالمسلمين في أي مكان أو أي زمان.

(٢) يجب على المسلمين أن يحذروا من التعزز والاعتزاز بغير المسلمين لأن هذه الطريقة لا تؤدي إلى العزة ؛ بل تؤدي إلى الذلة والمهانة والانكسار والخضوع لغير المسلمين وانطماس الهوية والشخصية للمسلمين، ولذلك حذرنا الله تعالىٰ من التقرب والتودد إلى غير المسلمين فقال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[المائدة: ٥٢] وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ

=جـ٢/١٥١/٧٧٦/قال: إسناده جيد بخلاف رواية نافع عن بن عمر فإنها ضعيفة وهي التي رواها أبوداوود في سننه جـ٣/ ٢٧٤/٣٤٦٢/كتاب البيوع/ باب في النهي عن العينة/ للإمام: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي /ت/٢٧٥هـ، طبع: دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، وأما لفظ الحديث فهو: عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»، وهكذا رواها البيهقي وغيره .

وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٦١، ٦٢] فمن يطلب العزة من عند غير الله تعالىٰ وفي غير منهجه الذي أنزله على رسوله ﷺ وارتضاه لعباده منهاجا وشرعة يعاقبه الله تعالىٰ بالذلة والمهانة وسيطرة العدو عليه.

(ب) القسم الثاني: العزة غير الشرعية أو غير الحقيقية:

وهي التي تكون بالإثم وبالباطل أو بالمال أو بالسلطة: وهذه العزة تتنوع إلى أنواع كثيرة يفعل معظمها غير المسلمين وقد نجد بعض المسلمين في بعض الأحيان يفعلونها معتقدين بأنها ستوصلهم إلى العزة، ولكن هذه العزة متوهمة وغير حقيقية وهذا ناتج من عدم وجود الإيمان بالله سبحانه تعالىٰ لغير المسلمين، وضعفه في قلوب بعض المسلمين المتشبهين بغير المسلمين.

[١] العزة في عبادة الهوى أو عبادة الآلهة والأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولكن تحقق لصاحبها مكاسب معينة في الدنيا ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾[مريم: ٨١] فالله سبحانه وتعالىٰ يحكي عن غير المسلمين تعززهم وبحثهم عن العزة في الإشراك به سبحانه وتعالىٰ فأخبرهم الله تعالىٰ بأن هذه العزة غير صحيحة بل عزة موهومة وخيالية وليست حقيقية ؛ قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[مريم: ٨٢] فقد حكم الله تعالىٰ على هؤلاء الناس بأنهم سينقلبون على آلهتهم ويكونون لهم أعداء وذلك في حالة عدم حصولهم على ما كانوا يرغبون في الحصول عليه من المكاسب الدنيوية الزائلة.

[٢] العزة في الثبات على الباطل وعدم الخضوع للحق، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[البقرة: ٢٠٦] والمعني المستفاد من الآية: هو أن الله تعالىٰ قد وصف في الآية صفة الكافر والمنافق الذي يزهو بنفسه زهواً كبيراً والله تعالىٰ يكره أن يكون للمؤمن مثل هذه الصفة في هذا الموقف من أن يوقعه أحد في الحرج فيتصف بمثل صفة الكافر والمنافق. وكما قيل: كفى بالمرء إثماً أن يقول حينما يقال له: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك مثلك

يوصيني بهذا؟. وذلك لأن العزة هي القوة والغلبة أو هي: الحمية والمنعة وشدة النفس أي اعتز في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته وألزمته على قول هذا القول الذي قد يؤدي به إلى الكفر أو إلى النفاق والمعصية لله تعالىٰ ومجانبة الحق والعدل عن قبول الوعظ(١).

[٣] العزة في مولاة غير المسلمين لما يتمتعون به من قوة ونفوذ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء: ١٣٩] والمعني من الآية واضح في ترك التقرب إلي غير المسلمين وابتغاء العزة فيما عند الله تعالىٰ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ هو واهب العزة والقوة والغلبة على أي شيء.

[٤] العزة بالسلطة والمنصب والجاه والمَنَعة؛ قال تعالىٰ: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الشعراء: ٤٤] فالله تعالىٰ يحكي عن سحرة فرعون حينما أرادوا ينصروا الباطل أمام نبي الله موسي عليه الصلاة والسلام بعزة وقوة ومنعة وغلبة فرعون ولكن الله هو الغالب والمعز والناصر لنبيه ﷺ ولمن سار علي نهجه واتبع أحكامه في جميع شئون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ؛ فتعززهم بفرعون باطل وهي عزة وهمية وليست عزة حقيقية فالعزة الحقيقية هي في الإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ.

[٥] العزة بقلب الأوضاع السياسية في البلاد المهزومة والسيطرة عليهم، قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٣٤] قد سبق ذكر وجه الدلالة من الآية، وهي أن من سنن الله سبحانه تعالىٰ في الكون أن المنتصر يتحكم في المهزوم ويفرض عليه من الشروط والمطالب المجحفة والتي منها تغيير الحكام الأصليين وتنصيب الدهماء

(١) تفسير القرطبي جـ ١٩/٣ .

والغوغاء والسفلة حكاماً على أهل البلد الذين يقومون برعاية شئون دولتهم حتى يضمنوا ولاءهم لهم؛ وذلك منهم إفساد في هذه الدولة حتى لا تقوم لها قائمة مرة ثانية.

[٦] العزة بالمعاندة والمكابرة عن قبول الحق والخضوع له؛ قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[ص: ٢] وجه الدلالة من الآية أن الله تعالىٰ وصف الكافرين بأنهم في عزة ومنعة وشقاق من قبول الحق والإيمان بالله تعالىٰ وبرسوله واتباع سبيل المؤمنين بل يريدون بقوتهم بعددهم وعدتهم رغم تفرقهم أن يتوحدوا ويقاتلوا المسلمين ويهزموهم وأن يجعلوا المسلمين متبعين لطريقتهم في شتى مناحي الحياة.

[٧] العزة بالقوة العسكرية والاقتصادية، قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الزخرف: ٥١] وجه الدلالة من الآية: هو أن الله سبحانه وتعالىٰ حكي عن فرعون حاكم مصر بأنه يتباهى بقوته العسكرية والاقتصادية وتعززه بذلك في مواجهة نبي الله موسي عليه الصلاة والسلام وهذه العزة غير حقيقية.

[٨] العزة بقوة كثرة المال وكثرة العدد في الأفراد، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٤] وجه الدلالة من الآية الكريمة هي أن الله سبحانه وتعالىٰ حكي مشهداً من مجادلة اثنين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم وغير المسلم يفتخر بكثرة المال وكثرة الأفراد وأنه يتعزز بذلك وهذا الأمر واقع في الأفراد وواقع كذلك في الدول فمن أسباب العزة للدولة كثرة المال والأفراد.

[٩] المفهوم السياسي للآيات القرآنية السابقة:

(أ) يريد الله سبحانه وتعالىٰ من عباده المؤمنين أن يحصلوا على العزة في الإيمان به واتباع طريق الرسول ﷺ وليس في إتباع الأشياء الأخرى الدنيوية؛ فهذه الأشياء

بالنسبة للمسلم تكون ثانوية وليست أصلية وتابعة وليست متبوعة؛ فالإيمان بالله تعالىٰ هو أصل العزة وليس في عبادة غيره أو في إتباع الهوى؛ لأن الهوى هو شر إله عبد في الأرض، كما أن الخضوع للحق - أي الخضوع لله سبحانه وتعالىٰ - يجعل الإنسان يشعر بالرفعة والعزة بخلاف التمسك بالباطل وتمييع الحقوق وعدم إيصالها إلى مستحقيها، يورث الإنسان عزة وهمية وغير حقيقية، سرعان ما تلبث أن تزول سريعاً، وهذا يشبه صاحب المنصب والجاه والسلطة وكل من يتعزز بالمنصب فالمنصب والجاه لا يعطي العزة بدليل أن هذا الإنسان إذا ترك منصبه عرف حقيقة هذه العزة وأن الناس الذين كانوا يتقربون إليه في الماضي أصبحوا الآن لا يهتمون به ولا يأبهون له وكأنه غير موجود معهم، كذلك الحال بالنسبة للدول غير المسلمة قد تأخذ بأسباب التقدم والرقي مما يجعلها ذلك في عزة وقوة ومنعة عن غيرها من الدول الأخرى ثم ما تلبث إلا أن تزول بعد فترة وجيزة؛ وذلك لأنها غير مؤمنة بالله تعالىٰ فالعزة التي حصلت عليها عزة وهمية وغير حقيقية أو هي عزة وقتية حصلت لهم في فترة من الزمان في ظل غياب المسلم الصادق والدولة المسلمة الصادقة والمتصفة بالعزة فالعزة إما أن تكون للدولة المسلمة أو تكون للدولة غير المسلمة.

(ب) إن كثرة المال والأفراد وربما الموقع الجغرافي قد يجعل الدولة في عزة وقوة ومنعة وقد يكون سبباً في ذلتها وانكسارها؛ وذلك إذا لم يتم استغلال هذه الطاقات المعطلة وتنمية المهارات المختلفة التي من خلالها يمكن أن تحصل على العزة المطلوبة، ولذلك فإننا نجد الدول التي تملك كثرة في المال والأفراد وعندها الإرادة القوية تستطيع أن تصبح دولة عظمي لها من القوة والسلطة والمنعة ما لا تستطيع غيرها من الحصول عليه إلا بشق الأنفس، كما أن الدولة التي لها كثرة في الأفراد والسكان ولا تقوم باستغلال هذه القوة البشرية الهائلة لتحقيق العزة والرفعة والمنعة في شتى مناحي الحياة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لهي دولة خليقة بأن تنمحق ويسيطر عليها غيرها؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ يعطي الناس ومن ثم الدول أسباب التقدم

والرقي وتغيير الأحوال من الأسوأ إلى الأحسن في شتى مناحي الحياة فمن استجاب وأخذ بها فاز ومن لم يأخذ بها فسوف يكون من الخاسرين الواقعين تحت سيطرة الدول الأخرى؛ والسبب في ذلك هو اختبار وبلاء لهذه الدول حتى ينظر ماذا تفعل الدولة - جميع المسلمين - وهل يمكن أن تستفيد الدولة مما أعطي لها أم أنها تترك ذلك وتستغلها الدول الأخرى وتسيطر عليها، وإذا وقع هذا الأمر استحقت أن تقع تحت العقوبة التي قدرها الله سبحانه وتعالىٰ وهي الذلة والمهانة والانكسار للغير وهذا الأمر واقع للإنسان وأيضاً للدولة على كل ما تفعله.

(ج) إن العزة إذا توفرت بالقوة العسكرية والاقتصادية والاجتماعية فلا بد من أن يكون سياج هذه الدولة العدل وعدم الظلم، فإن الظلم يؤدي إلى ضياع كل ذلك، وقد قيل:

«إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»[1] فواقع المسلمين رغم أنهم مؤمنون بالله تعالىٰ إلا أن فيهم بعداً عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية لذا جعلهم الله تعالىٰ غثاء كغثاء السيل ليس له قيمة ولا وزن في محيط العلاقات الدولية؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ ربط الدنيا بالأسباب التي لا ترتبط بالإيمان أو عدم الإيمان فمن فعلها حصل على النتائج المترتبة عليها، وخص المؤمنين بمزيد من فضله وذلك حين القيام بأخذ هذه الأسباب والاعتماد عليه هو سبحانه وتعالىٰ والتمسك بعزته هو سبحانه وتعالىٰ دون غيره؛ فإن لم يفعلوا ذلك سلط الله تعالىٰ عليهم عدوهم فسيطر عليهم واستذلهم، وأصابهم بالذلة والمهانة الانكسار ولم يجعل لهم وزنا في محيط العلاقات الدولية.

(د) يحذرنا الله تعالىٰ من خلال حكايته عن قول ملكة سبأ بأن الملوك والدول المنتصرة إذا دخلت وسيطرت على الأوضاع السياسية في الدولة المنهزمة وأصبحت

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٦٣/٢٨، للإمام: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني/ ت/٧٢٨هـ، طبع: دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٨٦هـ، ط: الأولي، تحقيق: حسين محمد مخلوف.

لها الكلمة النافذة في تصريف أمورها ؛ بأن هذه حقيقة واقعية وسنة كونية تقع كلما توفرت أسبابها، وأن المسلمين إذا وقعوا تحت هذه الحالة فيجب عليهم الجهاد والتمسك بدينهم وليس تقديم يد العون والمساعدة لهؤلاء الأعداء الذين سيطروا على مقاليد الحكم والأمور؛ وقد ابتلي المسلمون تطبيقاً لهذه السنة الكونية بأن بعضا منهم قد تقرب في فترات كثيرة من التاريخ إلى أعداء المسلمين ومدوا لهم يد العون مما أثر تأثيراً سلبياً على شخصية المسلمين الإسلامية؛ ولعل أخطر هذه الحالات هي التي تعشيها الدول الإسلامية في العصر الحالي وقد صدق فينا حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا»(١) وفي حديث آخر روي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ، فَخَيْرُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيمَيْنِ»(٢) فالحديثان واضحا الدلالة في أن هناك بعضا من المسلمين يؤثرون الراحة على الجهاد ويلبسون ثياب العلماء ويدلسون على الناس الحقائق باسم الدين ويستوي في هذا العلماء والأمراء والحكام والمحكومون، فلا يوجد أحد في منجي من هذه الحالة إلا من كان صادقا فيما يقوله ويعمل بما يرضي الله سبحانه وتعالىٰ في السر والعلن والواقع السياسي في العصر الحالي يؤيد هذه الحقيقة ويؤكدها.

---

(١) سنن الترمذي جـ٤/٦٠٤/٢٤٠٤/كتاب الزهد/باب ما جاء في ذهاب البصر، وقد سكت عنه الترمذي ولكنه خرج أحاديث أخرى عن ابن عمر في نفس المعني وقال فيها حديث حسن غريب، للإمام: أبي عيسي محمد بن عيسي الترمذي /ت/٢٧٩هـ، طبع : دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون .

(٢) مجمع الزوائد جـ٧/٣٢٥/ باب ثان في أمارات الساعة/رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما ثقات .

المبحث الثالث

أسباب الحصول على العزة في الفقه الإسلامي

توجد أسباب كثيرة للعزة إذا توفرت هذه الأسباب مع الشروط اللازمة لذلك أدت إلى وجود العزة لمن توفرت له وهذه العزة قد تكون كاملة وقد تكون ناقصة ونقصانها يكون عند فقد سبب الإيمان بالله تعالىٰ ؛ لأنه هو السبب الرئيسي في الحصول على العزة الكاملة وذلك مصداقاً لقول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر: ١٠].

[١] الإيمان بالله تعالىٰ ولزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ والعمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

(أ) لقد سبق الحديث عن الآيات القرآنية التي تتضمن العزة وأن الإيمان بالله تعالىٰ وبرسوله ﷺ هو الأساس والسبب الأول في الحصول عليها. وأن العزة التي يحصل عليها غير المسلمين هي عزة غير حقيقية بل هي متوهمة، وعزة غير كاملة ما تلبث إلا أن تزول سريعاً إذا تواجد المسلمون الذين يحملون الإسلام بمعناه الصحيح الموافق لما جاء به الرسول ﷺ دون تأويل أو تحريف، فإذا لم يوجد هؤلاء المسلمون بهذه الصفات ضرب الله تعالىٰ علينا الذلة والمهانة وسيطر علينا غير المسلمين، وكانت لهم هذه العزة المتوهمة وغير الحقيقية؛ وذلك لأن غير المسلمين لا ينفكون يدبرون المكائد والدسائس للمسلمين لكي يظلوا في جهلهم وفي بعدهم عن إسلامهم الصحيح، فهم لا يخلون من مكر سيئ بالمسلمين في مكان وفي كل زمان، ولكن لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

(ب) حين النظر إلى واقع المسلمين اليوم نجد أن المسلمين يظهرون الإيمان بالله تعالىٰ في جزء من أجزاء الإسلام وليس الإسلام كله؛ فالقوانين الوضعية تطبق في شتى بقاع أراضي المسلمين ونحيت الشريعة الإسلامية عن التطبيق إلا ما ندر من

المسائل كمسائل الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والهبة والولاية والوصاية وما يتعلق بها، وهي المسائل التي لم يستطع القانون الوضعي تنظيمها. واتبع المسلمون الغرب في كل شيء من مناحي الحياة؛ ومن ثم زالت العزة التي ربطها الله تعالىٰ بالإيمان به وبتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية كلها دون تجزئة؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[النساء: ١٥٠] وقال أيضا: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[المائدة: ٤٩] وقد بين الله تعالىٰ أحوال الذين يبحثون عن العزة في غير ما أنزل الله تعالىٰ وهو عبادة غيره سبحانه وتعالىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[العنكبوت: ٢٥] فيجب على المسلمين إذا أرادوا الحصول على العزة الكاملة أن يرجعوا إلى رشدهم ويقوموا بتطبيق شرع ربهم في كل مناحي الحياة دون تفرقة أو تجزئة له، وأن يغيروا واقعهم إلى ما أراده الله تعالىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] فالله سبحانه وتعالىٰ قد ربط العزة بالإيمان الكامل غير الناقص، والعمل بالإسلام كله بدون تجزئة له؛ فإذا توفر في المسلمين هذا الأمر حصلوا على العزة، ولم تنزع العزة من المسلمين إلا بعد أن قاموا بتغيير أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى ما يخالف تعاليم الإسلام، ففي هذه الحالة فقط نزعت منهم العزة ولم ترجع إليهم حتى هذه اللحظة، ولن ترجع إلا بعد أن يرجع المسلمون إلى ما كانوا عليه أيام الرسول ﷺ والصحابة الكرام ويقوموا بإصلاح أحوالهم وتغيير أوضاعهم فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا

مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[الرعد: ١١]. فيجب علينا أن نقوم بتغيير أوضاعنا وأحوالنا حتى يعطينا الله تعالىٰ العزة التي نرجوها.

[٢] القيام بالجهاد في سبيل الله تعالىٰ وذلك من خلال تحقيق معانيه الواسعة بالنفس وبالمال وبالكلمة، ومن تركه تعرض للذل والهوان فقد قال الله تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[التوبة: ٤١] وروي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[١]، فكل ما يعين على تبين معاني الإسلام ودعوة الغير إليه بشتى الوسائل يعتبر من الجهاد المطلوب الذي يجب المحافظة عليه حتى ننال العزة التي وعدنا الله تعالىٰ إياها وربطها بالإيمان به وبالجهاد في سبيله، فإن نحن نكصنا على أعقابنا وتركنا الجهاد أورثنا الله تعالىٰ ذلا ومهانة لا يرفعها عنا حتى نرجع إلى الجهاد مرة ثانية فقد روي عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر، وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه»[٢] فالعز كل العز في دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالىٰ ونصرة الإسلام والمجاهدة في تحقيق هذا الأمر بكل الوسائل المتاحة بالكلمة والمال والسلاح، والذل كل الذل في ترك ذلك.

[٣] لزوم جماعة المسلمين وعدم التفرقة وإثارة النعرات الشعوبية والقبلية والتي تدل على الفرقة والاختلاف وذلك لأن واقع المجتمع العربي والإسلامي

---

(١) سنن أبي داوود جـ٣/١٠/٢٥٠٤/كتاب الجهاد / باب كراهية ترك الغزو.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٢/٤٢/٥٠٠٧،، وفي الدراية لابن حجر جـ٢/١٥١/٧٧٦/قال : إسناده جيد بخلاف رواية نافع عن ابن عمر فإنها ضعيفة وهي التي رواها أبو داوود في سننه جـ٣/٢٧٤/٣٤٦٢/كتاب البيوع / باب في النهي عن العينة/ بلفظ: عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» وهكذا رواها البيهقي وغيره .

الآن أنه مجتمع يقوم على الفردية والإثرة والأنانية وذلك لتأثره بالمجتمع الغربي وعاداته وتقاليده ونتج ذلك في ظل غياب الوعي الإسلامي الصحيح في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأحوال الشخصية وغير ذلك والله تعالىٰ قد أمرنا بالاعتصام بالقرآن الكريم والسنة النبوية قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقد حذرنا الله تعالىٰ من الاختلاف والفرقة فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فالاختلاف والفرقة والتنازع يؤدي إلى الفشل والذلة والمهانة وضياع العزة قال تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: ٤٦] وكذلك حذرنا الرسول ﷺ من ذلك فقد روي ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»[1] وفي رواية أخري تبين أن الفرقة ومن يدعوا إليها يكون جزاؤه في الآخرة النار وبئس القرار، أما في الدنيا فإنها تؤدي إلى ضياع العزة المنشودة فقد روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال أمة محمد ﷺ ـ على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى

(١) سنن الترمذي جـ٤/٤٦٥/٢١٦٥/كتاب الفتن/باب ما جاء في لزوم الجماعة /قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب .

النار»[1] والمقصود بالجماعة هو جميع المسلمين الذين يتمسكون بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

[٤] التمسك بالعلم والسعي في تحصيله بشتى الطرق والسعي إلى تحقيق كل ما يؤدي إلى المنفعة والمصلحة العامة والخاصة للمسلمين؛ قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿ ...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[المجادلة: ١١] وقد حذرنا الله تعالى من التشبث بالآراء وتحقيق أهداف شخصية ليس بهدف تحقيق مصلحة أو منفعة عامة وإنما من أجل المخالفة وإظهار حب الرياسة والعلم؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران: ١٠٥] وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المهلكات ثلاث إعجاب المرء بنفسه، وشح مطاع، وهوى متبع»[2] فإعجاب المرء برأيه واتباع أهوائه يؤدي في آخر الأمر إلى الذلة والمهانة وخصوصاً إذا كان هذا الإنسان صاحب رأي كالعالم والحاكم والمسئول الذي يتولى أمراً من أمور المسلمين، وما أكثر هؤلاء في الأمة الإسلامية في شتى عصورها.

[٥] الموالاة والمناصرة بين المؤمنين وعدم حب غيرهم والتودد والتحبب

(١) سنن الترمذي جـ ٤/٤٦٦/٢١٦٧/ كتاب الفتن/باب ما جاء في لزوم الجماعة / قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان

(٢) مسند البزار جـ٨/٢٩٥/٣٣٦٦/، للإمام : أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار /ت/٢٩٢هـ، طبع : مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت – المدينة، عام : ١٤٠٩هـ، طبع : الأولي، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس جـ ٢/٣٨١/٢٦٦٢/وقال روي مرفوعا عن ابن عباس وغيره بزيادات ،، للإمام : إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي /١١٦٢هـ، طبع : مؤسسة قرطبة، بيروت، ١٤٠٥ هـ ،ط: الرابعة، تحقيق : أحمد القلاش.

إليهم وموالاتهم؛ قال تعالى محذرا المؤمنين من مولاة غير المسلمين بأن من يفعل هذا الفعل فقد نزع منه الإيمان بالله تعالى وأصبح منافقاً قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢] ونفي الإيمان هنا قد جاء بعد النهي الصريح من مولاة غير المسلمين قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨] ثم بين الله تعالى بأن من يفعل هذا الأمر ابتغاء الحصول على العزة كما هو واقع في كثير من الأحوال والأزمان على مر العصور فإن الله تعالى يورثه الذلة والمهانة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء: ١٣٩] ومن لاحظ حال الأحزاب اليوم في كثير من الدول العربية والإسلامية يجد هذا الأمر متفشياً ومنتشراً بينهم فهذا الحزب الاشتراكي أو البعثي يوالى الاتحاد الاشتراكي أو البعثي - أقصد الدول الاشتراكية الاتحاد السوفيتي خصوصاً - والحزب الآخر رأسمالي يوالى الدول الرأسمالية مما يجعلهم تابعين لهذه الدول ينفذون سياستهم وهم يحسبون بأنهم بذلك يحسنون صنعاً، وما دري هؤلاء أنهم يسلطون غير المسلمين على المسلمين في جميع شئون حياتهم وقد حذرنا الله تعالى من هذا الفعل فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٤٤] وقد نسي هؤلاء المسلمون الذين يعتنقون هذه الأفكار المخالفة للإسلام بأن تشبثهم وتمسكهم ودعوتهم لهذه الأفكار يخرجهم بذلك من الإيمان إلى الكفر؛ لأنهم في حقيقة الأمر والواقع يظهرون بأن

الإسلام غير صالح للتطبيق في هذا العصر وأنه يقتصر على الصلاة والصيام والحج فقط، وليس له دخل في المعاملات المالية أو السياسة والحكم، وهذه دعوة كاذبة مغرضة ألقاها الشيطان وأعوانه للكيد للإسلام والمسلمين ويأبى الله تعالىٰ إلا أن يتم نوره ويظهر دينه في كل مكان على وجه الأرض.

[٦] الوسطية في المنهج وعدم المغالاة وعدم التفريط أو الإفراط والتشدد مع مراعاة العدل والإنصاف في جميع الأحوال، ومع كل الناس ولا يتأتى ذلك إلا بالعزة فهي وحدها القادرة على منح العدل والإنصاف في الدنيا والشهادة في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾[البقرة: ١٤٣] فالآية واضحة الدلالة في بيان وسطية هذه الأمة وأن هذا التوسط في جميع الأمور وهو من أسباب عزتها فالله سبحانه وتعالىٰ قد رتب كونهم شهداء على صيرورتهم وسطاً، ترتيب الجزاء على الشرط، فإذا حصل وصف كونهم وسطاً في الدنيا وجب أن يحصل وصف كونهم شهداء في الآخرة وقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك، فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم كلاهما فذلك قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ ... ﴾ ـ الآية ـ كلاهما والوسط العدل»[1] فهذه الأمة هي الأمة الوسط والتي تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والقسط؛ وتضع لهم الموازين والقيم؛ وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد؛ وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل. لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها

(١) صحيح البخاري جـ ٤/١٦٣٢/٤٢١٧/كتاب التفسير/باب وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس .

وموازينها. وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم. وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها؛ فيقرر لها موازينها وقيمها؛ ويحكم على أعمالها وتقاليدها؛ ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة. وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها، ولتشعر بضخامتها. ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعداداً لائقاً. وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.فهي وسط في التصور والاعتقاد. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.أمة وسط في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول؛ ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب ؛ وشعارها الدائم الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين[1]..

(١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب تفسير سورة البقرة آية رقم ١٤٣ .

المبحث الرابع

كيفية تحقيق العزة في الفقه الإسلامي

أولا: تحقيق العزة من جهة الحاكم ومن يمثله في الدولة:

[١] العمل على تطبيق شرع الله تعالىٰ في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية وغير ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨] والآية واضحة الدلالة في أمر الرسول ومن يقوم مقامه في الحكم بين الناس بشريعة الله تعالىٰ ولا يتبع شريعة غيره من الأمم السابقة أو اللاحقة فما دام يوجد في شريعتنا حكم له فإذا طبقنا شرع غيرنا ففي هذه الحالة يعتبر ما فعلناه رد لشريعة الله تعالىٰ وهذا غير جائز؛ لأنه يقدح في إيماننا بالله تعالىٰ كما أن هذا الفعل يورثنا ذلة ومهانة ولا يعطينا أي عزة أو رفعة، وقد حذرنا الله تعالىٰ من دعوى بعض الناس بأن الأخذ من شريعة غيرنا يعتبر تقدماً ورقيا بأن هذا غير صحيح وأن من يفعله فهو فاسق قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة: ٤٩][1] فالله تعالىٰ حذرنا من اتباع أهواء من يدعي الإيمان ويحاول أن يخدع المسلمين بحجة الرقي والتقدم والحضارة ،ويطبق القوانين الوضعية ويترك شرع الله تعالىٰ، فهذا الإتباع غير جائز، وإنما يجوز لنا فقط أن نأخذ ما ينفعنا من وسائل التقدم

(١) انظر: تفسير الآيتين في : تفسير القرطبي جـ٦/ ٢١٠، وما بعدها ويلاحظ لا يوجد نسخ في هاتين الآيتين كما ذهب إليه بعض المفسرين لعدم تحقق شروط النسخ بل الآيتان محكمتان ولا يوجد بينهما تعارض، وتفسير الطبري جـ٦/ ٢٦٩وما بعدها .وتفسير ابن كثير جـ٢/ ٦٧

التكنولوجي في الآلات والمعدات والوسائل والأساليب والطرق الإدارية وأساليب الحرب وغير ذلك مما لا يتعارض مع شريعتنا.

[٢] الرفق بالمسلمين وعدم إعناتهم ومشقتهم أو إيرادهم مواطن التهلكة مما يؤثر على شخصيتهم الإسلامية؛ يؤكد ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت: ممن أنت؟. فقلت رجل من أهل مصر. فقالت: كيف كان صاحبكم ـ أميركم ـ لكم في غزاتكم هذه؟. فقال: ما نقمنا منه شيئا إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة؛ فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: في بيتي هذا: «اللّهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به»[1] فالرفق ما وجد في شيء إلا زانه، والأمير أو الرئيس الذي يحكم في الناس بالعدل والرفق في غير عنف فإن ذلك يجعل هؤلاء الناس مرفوعي الرؤوس يحصل كل واحد منهم على حقه مما يشعرهم ذلك بالعزة والفخر والرفعة والمنعة والتسارع إلى نصرته بخلاف ما لو كان الحاكم يشق عليهم ويسومهم سوء العذاب وسوء الأحوال ويغشهم في كل شيء ويفعل بهم الأفاعيل ؛ فإن هذا الحاكم لا يري رائحة الجنة، كما جاء ذلك في رواية معقل بن يسار المزني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[2] فمن يتولى أمر المسلمين ويخدعهم ويغشهم في أمور حياتهم ويحاول أن يتقرب إلي غير المسلمين على حساب المسلمين؛ إلا كان من أهل النار؛ وذلك طبقا لما رواه عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على

(١) صحيح مسلم ج ٣/١٤٥٨/١٨٢٨/كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم

(٢) المرجع السابق نفس المكان .

عبيد الله بن زياد فقال أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرعاء الحطمة». فإياك أن تكون منهم فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ فقال: وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم[1] ومن ثم فالدولة التي يكون حكامها مفسدين وغير صالحين وهم يسعون لتحصيل مكاسب فردية لهم، يصبحون حكاماً ملعونين لا يحبون الناس ولا يحبهم الناس مما يجعل الدولة في حالة انكسار وضعف ومهانة ؛ فقد روي عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف، فقال: لا ما أقاموا الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة»[2] ومن ثم فالدولة لا تتمتع بالعزة وذلك لوجود الكراهية بين الحكام والمحكومين بل تصبح دولة ضعيفة تنتشر فيها المحسوبية والأثرة والأنانية ولا يمكن أن ترفع رأسها في وجه أعدائها إلا بعد أن ترجع إلى رشدها وتتمسك بكتاب ربها وقد حذرنا الرسول ﷺ من المحسوبية والمحاباة في اختيار القادة؛ وذلك لأنهم لا يحققون العزة المطلوبة والمرتبطة بالإيمان بالله تعالىٰ ؛ فقد روي عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق ﷺ حين بعثني إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة؛ ذلك أكثر ما أخاف عليك؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»[3] فالرفق بالرعية وعدم العنت بهم والمشقة عليهم يؤدي العزة والعكس صحيح، ولعل حال المسلمين في شتى بقاع الأرض يظهر هذه الحقيقة ويوضحها في صورة جلية، فكلما كانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم يسودها الحب والنصح

(١) المرجع السابق نفس المكان .

(٢) صحيح مسلم جـ ٣/١٤٨١/١٨٥٥/كتاب الإمارة / باب خيار الأئمة وشرارهم.

(٣) المستدرك للحاكم جـ ٤/١٠٤/٧٠٢٤/قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والإرشاد، كلما كانت الدولة قوية في عزة وفي منعة من أن تنالها أيدي الأعداء، وكلما كانت العلاقة سيئة بين الحاكم والمحكوم لا يرضي الناس عن الحاكم ولا يرضي الحاكم عن الناس كانت هذه الدولة في ذلة ومهانة وانكسار وأصبحت لقمة سائغة في فم الأعداء تسيطر عليها وتتقاذفها فيما بينها لعدم الرابط بينهم.

[٣] لزوم العدل و الحرص على تحقيقه في جميع الأمور بين الناس بدون تفرقة بينهم في جميع المجالات السياسية والحكم والاقتصاد والاجتماع وفي كل مناحي الحياة وفي القضاء الذي يعتبر هو الأساس والمعيار الذي من خلاله يمكن أن نستدل على وجود العدل في المجتمع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فالله تعالىٰ أمرنا بالعدل والإحسان وعدم الظلم والتعدي؛ لأن في الظلم تضيع الحقوق وينتشر الفساد والطغيان، ويصبح الناس بعضهم أرباب بعض، وتنتشر المذلة والمهانة والخنوع بين الناس، وتزول العزة والرفعة والمنعة من تصرفاتهم، ومن ثم فلا بد من أن تتصف تصرفاتنا بالعدل وأداء الأمانات إلى أهلها؛ وذلك تطبيقاً لأمر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[النساء: ٥٨] فالعدل من صفات المؤمنين الراسخة ومن صميم إيمانهم بالله تعالىٰ فيجب عليهم أن يكون العدل هو سمة تصرفاتهم علاقاتهم ببعضهم البعض كأفراد أو كدول فإذا حدث خلاف بين دولتان مسلمتان أو طائفتان أو حتى بين دولة مسلمة ودولة غير مسلمة يجب أن يحل هذا الخلاف بالعدل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩] فمن يتميز بالعدل في جميع أموره صغيرها وكبيرها سواء أكان حاكماً أو محكوماً يصبح عند الناس عزيزاً منيعاً، يجله الناس كلهم حتى أعدائه وقد وعد الله تعالىٰ الذين يتصفون بالعدل في جميع أمور

حياتهم بأن لهم مكانة خاصة عند الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة، فقد روي عن عبدالله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»(١) يا له من مكان عظيم عند الله تعالىٰ حينما يجلس الإنسان الذي يتصف بالعدل في جميع شئون حياته على منابر من نور عند الله سبحانه وتعالىٰ، فهذه المكانة العظيمة تدفع الإنسان إلى العدل في الرضي والغضب وفي القوة والضعف مع المسلمين ومع غير المسلمين، مما يجعل الإنسان في مرتبة العزة التي يرضاها الله سبحانه وتعالىٰ.

[٤] يجب على الحاكم أن يستعمل على الأعمال التي أوكلت إليه بمقتضي وظيفته ـ سواء أكانت أعمالاً دينية أو دنيوية أو مشتركة ـ إلى أناس مسلمين؛ لأنه إذا أوكل إلى أناس غير مسلمين فإن ذلك يؤثر في شخصية المسلم ويشعره بالذلة والمهانة والانكسار وهذا منهي عنه بنص القرآن الكريم ؛ قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨] وقال تعالىٰ أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء: ١٣٩] وقال تعالىٰ أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٤٤] ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالىٰ منع من موالاة الكافر وأن يتخذوا أعوانا على الأعمال المتعلقة بالدين(٢) وأما الأعمال المتعلقة بالدنيا إذا كان يوجد مسلم يعرف ذلك فهو يقدم على غيره من غير المسلمين، وقد يكون غير المسلمين متميزاً وماهراً في هذا

(١) صحيح مسلم جـ ٣/١٤٥٨/١٨٢٧/كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم .

(٢) تفسير القرطبي جـ ٥/٤١٦، وتفسير الطبري جـ ٣/٢٢٨.

العمل فهنا يجوز فقط الاستعانة به في حدود الضرورة؛ فقد روي عن أبي موسى أنه استكتب نصرانيا فانتهره عمر ﷺ وقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة: ٥١] فقال أبو موسى: والله ما توليته وإنما كان يكتب فقال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لا تدنهم إذ أقصاهم الله، ولا تأتمنهم إذ خونهم الله، ولا تعزهم بعد أن أذلهم الله[1] والمعني واضح وهو أن الحاكم إذا استخدم من غير المسلمين وفيهم من يصلح لهذا العمل؛ فإن غير المسلمين يتقوون بذلك ويتعززون علي أهل الإيمان؛ لذلك نهي الله تعالىٰ عنه حيث لأنه تعالىٰ يريد العزة للمؤمنين ولا يحدث هذا إلا إذا شعر المسلم بالقوة والمنعة في بلده ولم يشعر بالغربة والمهانة فيها، والتاريخ الإسلامي مليء بحكام وخلفاء ولوا بعض الأعمال وخصوصاً الأعمال المالية النصارى، وبعد قليل افتضح أمرهم وظهر أنهم يبلغون الأعداء كل ما يحدث في الدولة الإسلامية كما حدث ذلك مع الملك الصالح في مصر والذي يسمي محاضر الدولة أبا الفضائل بن دخان وكان جاسوساً يخبر الفرنجة والأعداء بكل ما يحدث عند المسلمين وينقل كل أخبار المسلمين إليهم ويدلهم على عوراتهم حتى ضبط وقتل بعد ذلك[2] وما حدث في الأندلس من مساعدة المعاهدين ـ اليهود والنصارى لألفونسو في غزو الإمارات الإسلامية من أجل القضاء على التواجد الإسلامي في الأندلس وهو ما حدث بالفعل[3].

(١) فتح الباري لابن حجر جـ ١٣/ ١٨٤، وفيض القدير للمناوي جـ ٦/ ٣٥٠.
(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم جـ ١/ ٤٩٩. للإمام أبي عبد اله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي/ ت/ ٧٥١هـ، طبع دار رمادي للنشر، دار ابن حزم، الدمام، بيروت، طبع : ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ط: الأولي، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري
(٣) دولة الإسلام في الأندلس : أ/ محمد عبد الله عنان جـ ٤/ ١٣٢، وما بعدها .طبع : مكتبة الأسرة /٢٠٠٣م الهيئة المصرية العامة للكتاب

ثانيا: تحقيق العزة من جهة الحكومة:

تعتبر الحكومة والحاكم بمرتبة واحدة من حيث المخاطبة والمسئولية؛ وذلك لأن الحكومة ما هي إلا أعوان للحاكم في تنفيذ الأعباء الملقاة على عاتقه؛ لأنه لا يمكن التصور بأن يقوم الحاكم بتنفيذ وتنظيم كل شيء من الأمور الحياتية للناس، فهذا لا يمكن تصوره كما لم يكن له وجود في الماضي فضلا عن وجوده في العصر الحاضر، ومع أن الأعباء التي كانت تلقي على عاتق الحاكم في الماضي قليلة وغير متشعبة، ومع هذه القلة في الأعباء فإن الحاكم كان له معاونون يساعدونه في تنفيذ أعباء الدولة، فما بالنا بالعصر الحاضر الذي كثرت فيه الأعباء وتشعبت إلى درجة كبيرة تحتاج إلى جهاز حكومي كبير، يقوم بعملية التنفيذ ورعاية الدولة. نخلص من ذلك إلى أن الأشياء الملقاة على عاتق الحاكم هي نفسها الملقاة على عاتق الحكومة في كل شيء يضاف إلى ذلك الآتي:

(١) كفالة الحياة الكريمة للناس من خلال البحث عن الفقراء والمساكين وتوصيل حقهم من الزكاة ثم القيام بعملية الإحصاء للناس جميعا وتحديد وتعريف من هو الفقير المسكين والموسر والغني حتى يتحقق المعني الأساسي من الزكاة التي شرعها الله تعالى وتوزيعها توزيعا عادلا في الأصناف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠] وأي خلل في عملية التوزيع وكفالة اليتيم والفقراء والمساكين يعتبر نقصا في الإيمان، روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[1] فالرسول ﷺ ينفي الإيمان عن الإنسان الذي يبيت شبعان وجاره جوعان وذلك لظهور عدم الاهتمام به فإذا كان هذا هو حال المؤمن فإذا كانت الدولة لا تهتم بالفقراء والمساكين والحكومة

(١) مجمع الزوائد جـ٨/١٦٧/باب فيمن يشبع وجاره جائع /قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار وإسناد البزار حسن.

تقوم بصرف أموال المسلمين على الحفلات والأشياء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تشعر بحال الناس وتقوم بتلبية احتياجاتهم فئة قليلة وتنسي متعمدة الناس كلهم فهذه الدولة لا يمكن أن تكون لها عزة بل هي ترتع في الذل والمهانة ولعلنا نطالع ونسمع أن الدول غير المسلمة تهتم بالبطالة وبالفقراء وتوفر لهم مرتبات حتى لا يتقووا بالسرقة والاعتداء على الناس، وهذا الفعل من باب المصلحة والتي جاءت الشريعة الإسلامية بتقريرها والعمل بها، ومع هذا فإننا لا نجد الحكومات في الدول الإسلامية تفعل أي شيء من هذا، مما أثر ذلك في شعوبها وأورثها الذلة والمهانة والانكسار والتبعية والخضوع للغرب ولغير المسلمين في جميع شئون الحياة، وجعلها تعيش تحت خط الفقر بمراحل وذلك من سوء التصرف في الأموال والسياسات الخاصة بالإدارة.

(٢) دفع المسلمين إلى القيام بواجب الدعوة كل فيما يعمل حيث إن واجب الدعوة يقع على عاتق كل المسلمين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران: ١٠٤، ١٠٥] فالخطاب في الآية الكريمة للمسلمين جميعاً بأن يخصصوا منهم جماعة لتفقهوا في الدين ويكون مسئولين عن توضيح ما آبهم من المسائل وكل إنسان مطالب بأن يبلغ ما يعرفه كما روي ذلك عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1] فالقيام بواجب الدعوة يشعر المسلمين بالمهمة العظيمة الملقاة على عاتقهم، وهي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي تبليغ شرع الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة، مما يؤثر في نفسيتهم وفي سلوكهم ويجعلهم في عزة

(١) سنن الترمذي جـ ٥/ ٤٠/ ٢٦٦٩/ كتاب العلم/ باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل/ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ورفعة سامقة؛ لأنهم يحملون منهج الله تعالىٰ إلى الناس جميعا، وهذا يشمل كل المسلمين، فقد روي عن أبي بكرة ﷺ قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: «أتدرون أي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت... ثم قال.... فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»(١).

(٣) تربية المسلمين على العزة والأنفة وعدم الخنوع والذلة والمهانة وذلك من خلال تدريس الأخلاق والسيرة النبوية وحياة الصحابة وتاريخ العظماء من العلماء والقادة وتعويد الناس على طلب الحوائج بعزة نفس وأنفة دون تكبر وغطرسة؛ لأنهم يطلبون حقهم فيكون الطلب في عزة وأدب جم؛ فقد روي عن عبد الله بن بسر قال: قال رسول الله ﷺ «أطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير»(٢).

(٤) يجب على الحكومة أن تقوم بإسناد العمل لمن يستحقه حتى تستقيم الأمور وتصلح الأحوال قد وصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أخلاق الولاة فقال: «لا يصلح لمن يلي أمر الأمة إلا أن يكون حصيف العقدة قليل العزة بعيد الهمة شديدا من غير عنف لينا من غير ضعف جوادا من غير سرف لا يخشى في الله لومة لائم»(٣).

ثالثا: تحقيق العزة من جهة جماعة المؤمنين:

[١] لزوم جماعة المؤمنين وعدم التفرقة بينهم وعدم تلبية دعاة الشعوبية

(١) صحيح البخاري جـ٢/٦٢٠/١٦٥٤/كتاب الحج /باب الخطبة أيام منى .

(٢) الأحاديث المختارة جـ٩/٥٢،٥١/٢٩، وقد سكت عنه المقدسي وله شواهد في الصحيحين.، للإمام : أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي /ت/٦٤٣هـ، طبع : مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط: الأولي عام ١٤١٠هـ، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

(٣) نظام الحكومة النبوية المسمي : التراتيب الإدارية جـ ١/٣٨٩، للإمام :عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، طبع : دار الكتاب العربي، بيروت .

والانفصاليين الذين يريدون أن يفتكوا بالمسلمين وأن يجعلوهم فريسة سهلة للأعداء، وقد حذرنا الرسول ﷺ من الفرقة والتفرقة واتباع كل ناعق، فلا بد للمسلم من أن يستمسك بلزوم جماعة المسلمين، وقد روي عن ابن عمر قال خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»[1] فهذا الحديث فيه دلالة على أشياء كثيرة هي:

(أ) = الوصية بالصحابة الكرام وعدم الخوض فيما حدث بينهم من مسائل خلافية وذلك لأننا لم نحضر الوقائع التي كانت بينهم ولم نشاهد حقيقة ما جرى فيها ؛ فلذلك الأفضل للمسلمين الذين آتوا من بعدهم أن يكفوا ألسنتهم عن التحدث في هذه المسائل وذلك لعظم فضل الصحابة الكرام، وأننا مهما اجتهدنا في العبادة والطاعة فلن نبلغ مقدار واحد منهم ؛ لأن الله تعالىٰ شهد لهم بالأفضلية وكفي بها شهادة ويلحق بهم في الفضل التابعون وتابعوهم بإحسان وهم ثلاثة أجيال كما نص عليه الحديث.

(ب) = الدلالة الثانية فشو الكذب وشهادة الزور وقد حذرنا الله تعالىٰ والرسول ﷺ منها وبين الرسول ﷺ بأنه سيأتي أناس يتبرعون بشهادة الزور دون أن يُطَلبوا للشهادة وأن يحلفوا على أشياء تأكيداً لها دون أن يستحلفوا، وذلك كله من أجل الحصول على مغانم أو مناصب دنيوية تكون سببا في هلاك المسلمين وهلاكهم قبل ذلك.

(١) سنن الترمذي جـ٤/٤٦٥/٢١٦٥/كتاب الفتن/باب ما جاء في لزوم الجماعة/قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه بن المبارك عن محمد بن سوقة .

(ج) = التحذير من الخلو بالمرأة بدون سبب ؛ وذلك لأن هذه الخلوة ربما تدعو أصحابها إلى الوقوع في الرذيلة وعصيان أمر الله تعالىٰ، وقد حذرنا الرسول ﷺ في أكثر من حديث من النساء وأنهم من أسباب انحراف الرجل عن الطريق السليم وخصوصاً إذا كان هذا الرجل ذا منصب أو مسئول، أو صاحب قرار تؤثر قراراته في حياة جماعة المسلمين.

(د) = أمر المسلمين بلزوم جماعة المسلمين وهي التي تجتمع على الحاكم وهي السواد الأعظم من المسمين وليس جماعة معينة أو فرقة معينة ويجب على المسلمين أن ينبذوا الاختلافات جانبا وأن يعملوا كل جهدهم على ترك الفرقة وترك من يدعوا إليها من دعاة التفرق وإثارة النعرات القومية والشعوبية بين المسلمين، وقد بين الرسول ﷺ أن من أسباب دخول الجنة لزوم جماعة لمسلمين والعمل على وحدتهم وترك الفرقة والخلاف والشقاق ما أمكن إلى ذلك سبيلاً. ومما يؤكد أن جماعة المسلمين هي السواد الأعظم منهم هو ما روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار»[1] فالحديث واضح في الدلالة علي أن الجماعة التي يجب إتباعها هي جميع المسلمين؛ وأنها لا تجتمع على ضلالة لأنه لا يمكن اجتماع هذا الجمع الغفير على معصية وضلالة؛ وذلك لأن الله تعالىٰ يوفقها إلى اتباع الطريق الصحيح ما دامت هذه الأمة متمسكة بكتاب الله تعالىٰ وبسنة رسوله ﷺ وهذا الأمر واجب على كل مسلم.

وهذا الأمر واجب على كل مسلم على حده؛ وذلك لأن الله تعالىٰ قد ربط التمكن لهذا الدين بالتدافع بين أهل الحق وأهل الباطل فقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

(١) سنن الترمذي جـ٤/٤٦٦/٢١٦٧/كتاب الفتن /باب ما جاء في لزوم الجماعة/قال أبو عيسى :هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان، وقد روى عنه أبو داود الطيالسي وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم.

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج:٤٠] وقال تعالىٰ: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥١] فالآيتان صريحتان في الدلالة على وجود هذا التدافع بين أهل الإيمان وأهل الكفر وبين أهل الحق وأهل الباطل حتى في المجتمع المسلم يوجد هذا التدافع بين الفئة المتمسكة بالحق وبالكتاب والسنة وبين الفئة المتمسكة بالباطل والتي تريد أن تنحرف عن الطريق السليم وهو طريق الإسلام، فلا بد من وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٣] تربية المسلمين لأولادهم وأزواجهم على معاني العزة والأنفة وعدم الخنوع والذلة والمهانة والانكسار وهذا واجب على المسلمين ذكورا وإناثا ؛ لأنه ربما لا تقوم الدولة بهذا العمل أو تقوم به ولكن بقدر ضئيل فيقع العبء كله على عاتق المسلمين حتى تخرج ذرية تؤمن بالله تعالىٰ وترضي بقضائه وتقنع بعطائه وتجاهد في سبيله وتطلب العزة من الله تعالىٰ في الإيمان به واتباع رسوله ﷺ قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم: ٦]. فالتربية حق واجب على الآباء والأمهات أن يربوا أولادهم تربية صحيحة تقوم على الفهم الجيد لكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله كما كان الصحابة ﷺ يفعلون ذلك.

[٤] تميز الجماعة المسلمة عن غيرها من الأمم قال تعالىٰ مبينا بأن هذه الأمة لها صفات خاصة تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى فقال: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ١٣٤] فالتميز يكون في كل شيء ولذلك نجد أن الله تعالىٰ قد ميز أمة الإسلام بصفات وخصائص لا توجد في أمة أخرى من الأمم السابقة أو اللاحقة أو الموجودة الآن؛ إذ هي تمسكت بالكتاب

والسنة وأقامت شرع الله تعالىٰ فيما بينها في جميع المسائل والقضايا ولم تتبع شرعا آخر غيره؛ فإن اتبعت شرعا آخر فإن الله تعالىٰ سوف يعاقبها بما عاقب به الأمم السابقة؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٤٣]

المبحث الخامس
مصادر العزة في الفقه الإسلامي وهل هي سنة كونية أو لا ؟

من خلال ما سبق يتبن لنا أن العزة تعتبر صفة سياسية للدولة، وقد طلبها الله تعالىٰ من المسلمين، وجعل الله تعالىٰ لها أسبابا كثيرةً، وبين العزة الشرعية التي تكتسب من خلال طاعته سبحانه وتعالىٰ، والعزة غير الشرعية وهي التي تعتمد الأسباب فقط دون مُسببها ولكن لعل البعض يسأل هل يمكن أن تكون العزة سنة كونية كلما توفرت أسبابها وشروطها وجدت فيمن يتصف بها؟. وكلما انعدمت أسبابها وشروطها انعدمت العزة ووجد عكسها ونقيضها وهو الذلة والمهانة، وقد يستغرب البعض تحول العزة من خلق يتصف به الفرد المسلم إلي أن تصبح مصطلحاً سياسياً وصفة مميزة للدولة المسلمة في علاقاتها مع غيرها من الدول الأخرى، وفي علاقاتها الداخلية مع من يقيم على أراضيها من المسلمين ومن غير المسلمين، فهل يمكن حقا أن تصبح العزة مصطلحاً سياسيًّا يجب أن تتصف به الدولة الإسلامية في جميع شئون حياتها، حتى تنال ما وعدها الله تعالىٰ من التمكين في الأرض. هذا ما سأبينه في المطالب الآتية:

المطلب الأول
مصادر العزة في الفقه الإسلامي

مصدر العزة الكاملة هو الله سبحانه وتعالىٰ؛ وذلك لقول الله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[فاطر: ١٠] فقد بين الله تعالىٰ بأنه هو واهب العزة وأنه هو الذي يعطيها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء وهذه العزة هي العزة الكاملة وهي لا تعطي إلا للمؤمنين فقط ـ وقد سبق بيان أقسام العزة وأنها تنقسم قسمين عزة شرعية وأخري غير شرعية فلا نجد داعيا لتكرار ذلك هنا فيجب الرجوع إليه ـ وهناك أسباب أخرى للعزة يستوي فيها المسلم وغير المسلم وذلك لأنها مرتبطة بالدنيا وبأسبابها فمن حصّل الأسباب حصل على العزة المتعلقة بها؛ كالقوة

العسكرية والاقتصادية والقوة في العتاد والعدة وفي الكثرة العددية؛ والقوة في كثرة المال وكثرة العدد في الأفراد والعزة بالمعاندة والمكابرة عن قبول الحق والخضوع له أو العزة بالسلطة والمنصب والجاه والمَنَعة أو العزة في مولاة غير المسلمين لما يتمتعون به من قوة ونفوذ أو العزة في عبادة الهوى من دون الله تعالىٰ.

المطلب الثاني
هل العزة سنة كونية أو لا ؟

= هل العزة سنة كونية مرتبطة بشروط معينة أو لا؟ حين النظر في هذا السؤال نجد أنه يطرح نفسه بقوة؛ وذلك لأننا نشاهد المسلمين الآن قد أصبحوا في ذيل القافلة ولم يعد لهم كلمة مسموعة في إطار العلاقات الدولية بل هم تابعون لغيرهم في أي قرار دولي؛ وما ذلك إلا لأنهم بعدوا عن منهج الله تعالىٰ، ولم يحققوا أسباب القوة والعزة مما دفعهم ذلك إلى الوقوع في الذلة والمهانة ومن يستقرئ التاريخ يجد هذا الأمر واضحاً جلياً، وذلك لأن المسلمين لم ينتصروا على عدوهم بكثرة العدد والعدة في أي معركة من المعارك وذلك لأن عدوهم في كل مرة يفوقهم عدداً وعدة وأسلحة ولكنهم ينتصرون بفضل هذا الدين وبفضل تمسكهم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية، ومما يؤكد أن العزة سنة كونية مرتبة بأسباب وشروط معينة، وأنها إذا لم تكن العزة الشرعية التي فرضها الله تعالىٰ على عباده المؤمنين، كانت العزة غير الشرعية التي يشترك فيها العصاة من المسلمين وغير المسلمين وتوضيح ذلك كما حدث في هذه الرسالة، قال ابن خلكان: لما انقضت الهدنة بين الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الأذفونش الفرنجي ـ ألفونسو ـ صاحب غرب جزيرة الأندلس، وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة، وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسمائة، عزم الأمير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنجة وكتب إلى ولاة الأطراف، وقواد الجيوش بالحضور، وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها، فاتفق أنه مرض مرضاً شديداً حتى آيس منه أطباؤه، فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش. فحمل

الأمير يعقوب إلى مراكش، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف. وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس، واقتضى الحال تفرقة جيوش الأمير يعقوب شرقاً وغرباً، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة، فكثر طمع الأذفونش في البلاد، وبعث رسولاً إلى الأمير يعقوب يتهدد ويتوعد، ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخار، وهي: باسمك اللّهم فاطر السماوات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أن الله تعالىٰ فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك عاماً بعد عام، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك، ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعلةٍ لا يسوغ لك التقحم ـ الاقتحام ـ معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسل إلى جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات ـ كلها أسماء سفن ـ، وأجوز بجملتي إليك، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين، والله تعالىٰ يوفق للسعادة ويسهل

الإرادة، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، إن شاء الله تعالى. فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[النمل: ٣٧]، الجواب ما ترى لا ما تسمع:

ولا كتب إلا المشرفية عنده ∴ ولا رسله إلا الخميس العرمرم[١]

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار، وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه إلى الأندلس، وسار إلى أن دخل بلاد الفرنج، وقد اعتدوا واحتشدوا وتأهبوا، فكسرهم كسرة شنيعة، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[٢]. فما سبق ذكره من رسالة الحاكم النصراني لحاكم المسلمين يدل على محاولة حيازة أسباب القوة والعزة والمنعة وهذا واضح وظاهر من خلال الرسالة والتي تدل على فهم جيد لمعاني العزة سواء في أثناء القتال أو أثناء المصالحة والسلم وكيف تراجع أمير المسلمين في بلاد المغرب عن التصنف والخور الذي كان به واستمساكه بأسباب القوة والعزيمة والنهوض لمحاربة عدوه بدون تردد ولا هوادة.

المطلب الثالث
هل يمكن أن تكون العزة مصطلحاً سياسياً أو لا ؟

لعل البعض قد يسأل ! هل يمكن أن تكون العزة مصطلحا سياسيا أو لا ؟. والإجابة عن هذا الأمر تكمن في فهم معاني العزة وهي خلق وصفة يتصف بها الإنسان أثناء قيامه بأفعاله وتصرفاته مما يجعله في مكانة عالية رغم ما به من ضيق في المال أو في ظروف الحال والواقع، ولكن عزة نفسه تمنعه من الانصياع للباطل والركون إليه، وكذلك الحال بالنسبة للدولة المسلمة لا بد لها من أن تتمسك بكتاب

(١) هذا البيت للمتنبي، والمَشْرَفِيَّةُ :اسم سُيوف منسوبة إلى مَشَارِفَ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، يقال: سيف مَشْرَفِيٌّ لسان العرب جـ ٩/ ١٧٤، والخميس يقصد به الجيش : مختار الصحاح ص ٧٩، والعرمرم : هو الجيش الكبير الشديد لسان العرب جـ ١٢/ ٣٩٧

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٧/ ٥-٧.

الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ وتتصف بالعزة في الرأفة والرحمة لكل المسلمين وخفض الجناح لهم ومع التعزز والترفع لغير المسلمين في العلاقات الدولية وغير الدولية، وأن تحاول الدول الإسلامية أن تستعيد مكانتها التي أرادها الله تعالىٰ لها أن تتبوأها وأن تقوم بقيادة البشرية إلى الإيمان بالله تعالىٰ والتسليم والخضوع له سبحانه وتعالىٰ؛ ولذلك فإننا حينما ننظر إلى واقع المسلمين الآن ونجد أنهم أصبحوا ضعافاً وليست لهم كلمة في واقع السياسة الدولية فلا بد لهذه الدول الإسلامية من أن تقوم بعملية التغيير وذلك مصداقاً لقول الله تعالىٰ: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[الرعد: ١١] والمعني أن الله تعالىٰ لا يغير نعمة أو بؤس أنزلها على قوم حتى يقوموا هم بتغيير ذلك، وكذلك لا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو رفعة أو مهانة. إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم. وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون. ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، ويجيء لاحقاً له في الزمان بالقياس إليهم.وإنها لحقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة ؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر؛ وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم والنص صريح في هذا لا يحتمل التأويل. وهو يحمل كذلك إلى جانب التبعة دليل التكريم لهذا المخلوق الذي اقتضت مشيئة الله، أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه.وبعد تقرير المبدأ يبرز السياق حالة تغيير الله ما بقوم إلى السوء؛ لأنهم حسب المفهوم من الآية غيروا ما بأنفسهم إلى أسوأ فأراد لهم الله السوء[1] فالقرآن الكريم ينظر إلى الإنسان بكل معالمه حيث إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات

(١) تفسير في ظلال القرآن تفسير الآية (١١) من سورة الرعد .

متساوية للخير والشر، والهدى والضلال. فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر. كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء. وأن هذه القدرة كامنة في كيانه، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس: ٧، ٨] ويعبر عنها بالهداية تارة؛ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠] فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد. والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك. ولكنها لا تخلقها خلقاً؛ لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعاً، وكامنة إلهاماً. وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان. هي التي تناط بها التبعة. فمن استخدم هذه القوة تغير واقع دولته الإسلامية وجعلها متصفة بالعزة وبالقوة والمنعة وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا توفرت أسبابه الواقعية وأصبحت الدولة الإسلامية لها الكلمة في محيط العلاقات الدولية وليس الأمر مجرد كلمات نظرية ليس لها ارتباط بالواقع بل الأمر له ارتباط وثيق بالواقع إما أن تكون العزة للمسلمين وإما أن تكون العزة لغير المسلمين ليس غير ذلك؛ والله تعالىٰ قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] فالله تعالىٰ نهانا أن نتصف بالوهن والمهانة والحزن لما أصابنا من هزيمة عسكرية أو ضعف في القوة أو في العدد والعدة، فرغم ذلك كله فنحن المسلمين الأعلى والأفضل عند الله تعالىٰ، وهذا هو المعيار الذي يجب أن يتعامل به المسلمون وهو رضا الله تعالىٰ واستنفاذ كافة الأسباب والوسائل الدنيوية عند القيام بتنفيذ أي أمر من الأمور ومع هذا فلا يجوز للمسلمين أن يعتمدوا على الأسباب والوسائل؛ لأن هذا الاعتماد قدح في عقيدتهم التي تفرض على المسلمين أن يكونوا معتمدين على الله تعالىٰ وحده مع الأخذ بالأسباب دون الاعتماد عليها، فشعور المسلمين بالعزة وأنهم هم الأعلى لأنهم مع الله تعالىٰ والله تعالىٰ معهم يعطيهم تميز في كل شيء؛ ولذلك نهاهم الله تعالىٰ حتى عند الهزيمة الحربية والعسكرية وعند

إبرام أي معاهدة سلام ـ حتى وإن كانت عقب الهزيمة ـ فلا يجوز للمسلمين من أن يتركوا العزة في أي بند من بنود هذه المعاهدة وذلك لأنهم هم الأعلى وأن هذه المعاهدة ما هي إلا مرحلة وقتية تؤهلهم إلى استعادة قوتهم ومكانتهم ولملمة أشتاتهم وجروحهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾[محمد: ٣٥] وقد بين الله تعالىٰ لهم بأن ما أصابهم من هزيمة وكثرة في القتلى والجرحى والألم الذي حاق بهم هو يشبه ما أصاب الأعداء، ولكن المسلمين يتميزون عن غيرهم بأنهم وثيقي الصلة بالله تعالىٰ وبكتابه العزيز؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١٠٤] فمن خلال ما سبق من الآيات يتبين لنا أن الله تعالىٰ حريص على أننا لا يجوز لنا أن نتصف بالوهن والضعف والمهانة والاستكانة والذلة في أي أمر من أمور حياتنا بل لا بد من أن نتصف بالعزة في كل ذلك حتى يتحقق فينا أننا نحن الأعلى، ويلاحظ أن الخطاب في هذه الآيات موجه إلى جميع المسلمين، ومن ثم الحكام لأنهم هم الذين يقومون بتنفيذ الأمور السياسية في الداخل والخارج ومنها إبرام العلاقات الدولية سواء في حالة السلم أم في حالة الحرب.

المبحث السادس
شروط تحقيق العزة في الفقه الإسلامي

يشترط لتحقق العزة شروط معينة هذه الشروط أساسية لتحقق الأسباب التي سبقت الإشارة إليها، وهذه الشروط إذا تخلفت لا يمكن أن تتحقق العزة بالمفهوم الذي أراده الله سبحانه تعالىٰ، وهذه الشروط هي:

[١] يجب على المسلمين أن يكونوا طائعين لله تعالىٰ ؛ وهذه الطاعة تنبع من الإيمان الكامل الذي لا يشوبه نفاق؛ لأن النفاق مخالف للإيمان ومثبط لعمل المؤمن وممحق له، ولا يعطي الله تعالىٰ العزة إلا لمن توفرت فيه صفة الإيمان الكاملة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٤] وسبب النزول[١] يوضح هذا المعني وهو أن من يظهر الإيمان ويبطن خلافه لا يمكن أن يكون مؤمناً حقاً ولا حتى مسلماً في حقيقة الأمر، بل هو مسلم في الظاهر فقط ومن ثم لا يمكن أن يستحق العزة التي ربطها الله تعالىٰ بالإيمان واتباع الرسول ﷺ «فالمقصود أنه بحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة؛ فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته وجعل شقاوة الدارين في مخالفته؛ فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[٢].

[٢] يجب على المسلمين أن يبتعدوا عن المعاصي والذنوب، ويعتبر من أكبر الكبائر الذي يجب أن يتركها المسلمون هو ما يقعون فيه الآن وهو عدم تحكيم شرع الله تعالىٰ في جميع مسائل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقاموا باستيراد

(١) تفسير القرطبي جـ ١٦/٣٤٦، وتفسير الطبري جـ ٢٦/١٤١.
(٢) زاد المعاد جـ ١/٣٧.

القوانين الوضعية واتبعوا في تقليدها الغرب النصراني، وهذه القوانين ما أنزل بها من سلطان، بل هذه القوانين توجب غضب الله تعالىٰ وتورث الذلة والمهانة للمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[البقرة: ٦١] فعملية استيراد القوانين الأجنبية وترك تطبيق الشريعة الإسلامية لهو من استبدال الأدنى بالذي هو خير في الدنيا والآخرة، ولكن الناس لا يفقهون هذه الحقيقة ويصُمُّون آذانهم ؛ قال تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[آل عمران: ١١٢] فقد ربط الله تعالىٰ الذلة والمهانة بعصيان أوامره وجحود أحكامه واتباع سبيل غير المؤمنين أو عبادة غيره؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٢] فهؤلاء القوم عبدوا العجل واتخذوه إلها من دون الله تعالىٰ فتوعدهم الله تعالىٰ بالذلة والمهانة في الحياة الدنيا ويوم القيامة لهم عذاب شديد، ولا يوجد تفرقة في هذا الأمر أو هذا الحكم بين المسلمين حكاما أو محكومين فلا يجوز للمحكومين أن يتذرعوا بأن هذا الفعل هو ما كان يفعله الحكام وأنهم لم يستطيعوا أن يغيروا هذا الأمر فهذه الدعوى تحتاج إلى برهان يدل عليها فإذا لم يستطع أحد أن يثبت ما يقوله أصبح شريكا فيه، وكلهم مسئولون أمام الله تعالىٰ، ويستثني من ذلك من أنكر بقلبه أو بلسانه ؛ فقد روي عن عوف بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف، فقال:

لا ما أقاموا الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة»[1] فيجب على المسلم أن ينكر ما يجده من الأئمة والأمراء والرؤساء والحكام وكل من يتولى منصباً مما يخالف شرع الله تعالىٰ، ولا يخرج عليهم ويقاتلهم؛ لأن ضرر القتال أعظم من الذنب الذي يفعلونه لأن في القتال تنتهك المحرمات وتسفك الدماء الشريفة العفيفة وغير ذلك من الأمور. وربما أمكن نصح هؤلاء الأئمة والأمراء فيرجعون إلى رشدهم ويعودون إلى ربهم فيكفي الله المؤمنين شر القتال، وكان الله عليماً حكيماً. فإذا وجد المسلمون عاصياً يفعل المعاصي ولا ينهمونه فإن الله تعالىٰ يعاقب الجميع؛ دليل ذلك ما روي عن عبيد الله بن جرير عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا»[2] فإن وجد المسلمون أناسا يعملون المعاصي والمنكرات ولا ينهونهم عن فعلها والمعاودة إليها وذلك ابتغاء وجه الله تعالىٰ، نزع الله تعالىٰ منهم العزة المهابة وأورثهم الذلة والانكسار؛ فقد روي عن حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[3] وفي رواية عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على

(١) صحيح مسلم جـ ٣/١٤٨١/١٨٥٥/كتاب الإمارة / باب خيار الأئمة وشرارهم.

(٢) صحيح ابن حبان ١/٥٣٧/٣٠٢/ باب ذكر توقع العقاب من الله جل وعلا لمن قدر على تغيير المعاصي ولم يغيرها .

(٣) سنن الترمذي جـ ٤/٤٦٩ /كتاب الفتن / باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1] فيجب أن يقوم المسلمون المتمسكون بدينهم بمدافعة أهل الذنوب والعصيان حتى يستقيم الأمر وحتى لا يصيبنا غضب الله تعالى.

[٣] يجب على المسلمين أن يحافظوا على التناسل والتكاثر؛ وذلك لأن الكثرة تؤدي للعزة[2] فكلما كانت الدولة متوحدة وأناسها على قلب رجل واحد، كانت هذه الدولة في عزة ومنعة؛ قال تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[النمل: ٣٧]، ولكن هذه الكثرة مرتبطة بصدق العزيمة وصدق الإيمان وصدق التوجه إلى الله تعالى، وإلا تحولت هذه الكثرة إلى غثاء كغثاء السيل ليس له أي قيمة ويصدق فينا ما حذرنا منه الرسول ﷺ، فقد روي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ. قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟. قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[3].

والغريب في هذا العصر أننا نجد مسلمين يتزعمون حركات ونداءات ويؤلفون كتابات في تحديد النسل وأن كثرة النسل تؤدي إلى التخلف والجهل والأمية وسوء التغذية وسوء التوزيع في الدخل وغير ذلك من المشاكل، وقد جروا في هذا الأمر وراء كتابات أعداء الإسلام الذين يريدون الفتك بالإسلام وبأهله؛ لأن التكاثر في النسل من علامات وجود الأسرة والترابط في المجتمع المسلم؛ وهي الأشياء التي فقدها غير المسلمين والغرب النصراني وقد نسي هؤلاء المسلمون أو تناسوا ما روي عن معقل بن يسار ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني

(١) سنن الترمذي جـ ٤/٤٦٨/ كتاب الفتن باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر .
(٢) بتصرف من: مقدمة ابن خلدون ص ١٩٥.
(٣) سنن أبي داوود جـ ٤/١١١/٤٢٩٧/كتاب الملاحم/ باب في تداعي الأمم على الإسلام

أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها فنهاه ثم أتاه الثانية فقال: له مثل ذلك فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»(١) فالرسول ﷺ يريد من المسلمين التكاثر والتناسل حتى يُخرجوا أجيالا كثيرة من المسلمين يوحدون الله تعالى، وأن التكاثر سيؤدي في يوم ما إلى العزة وعدم قبول الوضع المزري الموجود كما أن التكاثر سيؤدي بالضرورة إلى زيادة القوة العسكرية للدولة ويجعلها من ضمن الدول القوية.

[٤] يجب على المسلمين أن يربطوا العزة بالرحمة ويجب أن تكون هذه الرحمة على المؤمنين وتكون الشدة على غير المسلمين دون ضياع للحقوق أو التعدي أو الظلم والاستعلاء والفساد في الأرض فكل هذا منهي عنه (٢) ؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٥٤] فالله تعالىٰ قد وصف المؤمنين بالرحمة وخفض الجناح للمؤمنين وبالعزة والترفع عن غير المسلمين، كما أن الله قد قرن العزة بالرحمة في ختام آيات كثيرة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الشعراء: ٩].

[٥] يجب على المسلمين أن يعدوا العدة والقوة، وأن يتمكنوا من حيازة الأسلحة بكافة أنواعها وأشكالها وأن يسعوا في تحصيلها ممن يملكها عنده وأن لا يستجيبوا للدعوات المغرضة التي يروج لها الغرب في منع الدول الإسلامية من التسليح وقد لقيت هذه الدعوات آذانا مصغية من بعض المسلمين الذين لا يحسنون صنعا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ

(١) المستدرك جـ ٢/١٦٧/٢٦٨٥/ كتاب النكاح /قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة .

(٢) بتصرف من : حاشية ابن القيم جـ ٥/١٨٠.

وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[الأنفال: ٦٠] فقد ربط الله تعالىٰ بين إرهاب العدو وبين إعداد القوة والمنعة وأن هذه القوة تؤدي إلى العزة، والعزة توقع في قلوب العدو الرهبة والخوف من لقاء المسلمين. فمن يحاول أن يثبط المسلمين ويدعوهم إلى عدم التسليح لهو من المنافقين الذين حذرنا الله منهم وقد وصفهم الله تعالىٰ لنا فقال: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٤٦] فمن يملك الأسلحة يملك القوة ومن يملك القوة يشعر بالعزة والمنعة من أن تناله يد العدو؛ بخلاف ما لو كان عدو المسلمين هو الذي يملك القوة فإن الذلة والمهانة سيصاب بها كثير من المسلمين ؛ قال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[المائدة: ٥٢] كما هو واقع الآن من امتلاك الدول الغربية لأسلحة الدمار الشامل النووية والذرية وغير ذلك، ومع هذا فإننا نجدهم من حين لآخر يلوحون للمسلمين باستخدام هذه الأسلحة ضدهم حتى يضطرهم إلى الاستجابة لمطالبهم مع العلم بأنهم يمنعون المسلمين من امتلاك تكنولوجيا هذه الأسلحة.

[٦] يجب على المسلمين أن لا يستعينوا بغير المسلمين ؛ لأن ذلك يؤدي إلى زوال العزة ويورث الذلة والواقع السياسي في العالم الإسلامي من خلال استقراء التاريخ يثبت أن الاستعانة بغير المسلمين أورثت المسلمين الذلة في معظم المواطن التي تم الاستعانة بهم، أو ترتب على الاستعانة بهم زوال العزة ووجود الذلة والمهانة والخنوع والتنازل عن كثير من الأمور المرتبطة بالإسلام، فلولا وجود الاستعانة لما تنازل المسلمون عن هذه الأحكام والقواعد التي ربما قد تصل في بعض الأحيان بصميم الإيمان، كترك تطبيق الشريعة الإسلامية، وذلك يعد من أخطر الأسباب التي أدت إلى زوال العزة بالتدريج على مر الزمان، وقد كان هذا السبب من

الأسباب العظيمة التي أدت إلى سقوط دولة الإسلام في الأندلس وهو الاستعانة بالغرب؛ ومن تتبع تاريخ دول ملوك الطوائف يجد هذا الأمر متفشيا فيهم ؛ بأن كثيرا منهم كان اهتمامه الأكبر هو موالتهم مخالفين بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ذلك سقوط بياسة حينما استعان صاحبها عبد الله البياسي بالنصارى وسلم لهم المدينة بدون قتال[1] وكذلك ما حدث في سقوط غرناطة على يد إبراهيم ابن همشك فقد استعان باليهود المعاهدين بالمدينة وبجند النصارى في الاستيلاء على مدينة غرناطة[2].

[٧] يجب على المسلمين أن يأخذوا بالأسباب الدنيوية التي توصل إلى النتائج في جميع أنواع ومناحي الحياة ؛ وذلك لأن الله تعالىٰ ربط الدنيا بأسباب توصل إلى النتائج فأي إنسان في أي مكان أو زمان أخذ بها أوصلته إلى النتائج ما لم يوجد عوائق أو موانع تمنع من تحقيقها ؛ والدليل على ذلك ما روي عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب» وفي رواية عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب وإذا أحب الله عبدا أعطاه الإيمان»[3] يتضح من خلال الحديث أن الله سبحاه وتعالىٰ قد ربط بين الإيمان وبين حب الله تعالىٰ، وقد سبق ذكر الآيات القرآنية التي تربط بين الحب وبين الطاعة المتمثلة في الإيمان وبين العزة، ومن ثم فقد فرق الله تعالىٰ بين الدنيا وبين الآخرة ؛ فمن أخذ بأسباب الدنيا مسلم أو غير مسلم

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار: للحميري : محمد بن عبد المنعم الحِميري، ص ٥١٣، تحقيق : إحسان عباس: نشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع/ مطابع دار السراج الطبعة : ٢ - ١٩٨٠ م، ودولة الإسلام بالأندلس جـ ٤/٢٣١، ما بعدها، ٢٤٨، ٣٣٠، ٣٣٥

(٢) دولة الإسلام بالأندلس جـ ٤/٣٨٧

(٣) المستدرك للحاكم جـ ١/٨٨/٩٥/كتاب الإيمان ،ومجمع الزوائد جـ ١٠/٢٩٨/كتاب الزهد / باب جامع في المواعظ /قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله قد وثقوا، وفي بعضهم خلاف.

فإن الله تعالىٰ يعطيه إياها، ولكنه خص الآخرة لمن يكون مؤمنا حقا، ومن ثم فلا يجوز للمسلمين أن يتقاعسوا عن مهمتهم في عمران الكون وتطبيق كتاب الله تعالىٰ في الكون ؛ لأن هذه هي الوظيفة الأساسية والمرتبطة بالإيمان. وحينما يجتهد المسلمون في العمل وتكثر أموالهم ويتم استخدامها فيما يحقق مصالح الإسلام والمسلمين فإن الله تعالىٰ يعطيهم العزة والمنعة وعدم الخنوع أو الخضوع للغير ؛ لأنهم لا يحتاجون إلى الغير بل هم يحتاجون إلى رضا الله تعالىٰ بخلاف ما لو كان المسلمون عالة على غيرهم في المأكل والمشرب وعالة في استيراد التقدم التقني في الآلات والمعدات الطبية والزراعية والمواصلات وغير ذلك ؛ فإن هذه الأمة المسلمة لا تنفك من تبعيتها للغرب أبدا إلا إذا غيرت أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

المبحث السابع
عوائق تحقيق العزة

توجد عوائق كثيرة تؤدي إلى عدم تحقيق العزة وهذه العوائق هي نواقض الشروط السابقة ؛ ومن ثم فلا نجد داعيا لتكرارها، أو هي التي تترتب على فقد شرط من الشروط السابقة، وقد تكون هذه العوائق شخصية خاصة بالأفراد، وقد تكون عامة تشمل المسلمين كلهم، وقد حاولت أن أجمع هذه العوائق قدر المستطاع من خلال عملية الاستقراء والتتبع لها على مر التاريخ السياسي للمسلمين ومنها:

[١] من عوائق العزة عملية تجويع الشعب أو جعله يعيش في فقر شديد أو غني طاغ، وقد ابتلي المسلمون في عصرنا هذا بهذين الصنفين ؛ فنجد بعض الدولة الإسلامية تعيش في فقر مدقع، وبعضها الآخر يعيش في غني طاغ، ولا تكاد تجد ترابطا أو إخاء بينهم بل ربما نسمع عن أحد أغنياء المسلمين أنه يتبرع لحدائق الحيوان في الغرب أو أنه يعطي منحة لبعض الجامعات الغربية والدول الإسلامية تحتاج إلى كل جنيه ـ عملة مصرية ـ لكي تسد جوعها وفقرها، وقد حدث هذا الأمر على مر التاريخ فقد حكي أن المنصور قال لبعض قواده صدق الذي قال: أجع كلبك يتبعك. فقال له أبو العباس الطوسي: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يلوح له غيرك رغيفا فيتبعه ويدعك؟[١].

[٢] من عوائق العزة وجود الغلاء في الأسعار والمعيشة، وهذا ناتج عن الجشع والاحتكار والطمع والأثرة والأنانية وغير ناتج عن عوامل السوق من العرض والطلب وغير ذلك، «وأعظم من ذلك ما يحدث في كثير من الأحيان مما يؤدي إلى الوقوع في الظلم وإفساد العمران وخراب الدولة، هو التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على النواحي

(١) صبح الأعشى جـ١/ ٣١١

والتعجيل فيتعللون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحدثهم المطامع من جبر ذلك بحوالة الأسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء إلى بيعها بأبخس الأثمان وتعود خسارة ما بين الصفقتين على رؤوس أموالهم وقد يعم ذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوقة وأهل الدكاكين في المآكل والفواكه وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات وغير ذلك»[1].

[٣] من عوائق العزة الغطرسة والتعالي والتكبر والاستعلاء بالظلم والطغيان واستغلال النفوذ وذلك لأن الدولة المتكبرة عن الخضوع للحق والإذعان له والمستعلية بالظلم والطغيان ما تلبث إلا وتزول سريعاً؛ وذلك لأن هذه الصفات وإن كانت لا يسلم منها الفرد والجماعات فلا تسلم منها الدولة؛ لأن هذا السلوك لا يحق لها، فقد روي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول:العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما عذبته»[2] وفي رواية أخرى عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فإن رداءه الكبر وإزاره العز ورجل في شك من أمر الله والقنوط من رحمته»[3]. فيتضح من خلال الحديث أن العزة من إزار الله تعالىٰ لا يعطيها لأحد وإنما يعطي جزءا منها للمسلمين إذا امتثلوا طاعته وحكموا شريعته فهنا سوف يعطيهم الله تعالىٰ العزة والمنعة والأنفة، ولا يجوز للحاكم أن يظلم رعيته لأن ذلك يؤدي إلى زوال العزة ففي الظلم تضيع الحقوق وإذا ضاعت الحقوق انتشر الفساد وعمت الفوضى أرجاء الدولة، ولا يجوز للحاكم أن يستولي على أموال الرعية بدون تعويض عادل وأن يكون ذلك في مصالح المسلمين فإن لم يتم استخدامها في مصالح المسلمين أرجعها

(١) بتصرف من : مقدمة ابن خلدون ص ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) مجمع الزوائد جـ ١/ ٩٩/ كتاب الزهد/ باب ما جاء في الكبر/ رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد ضعفه أبو زرعة وغيره .

(٣) مجمع الزوائد جـ ١/ ٩٩/ كتاب الزهد / باب ما جاء في الكبر / رواه الطبراني في الكبير هكذا ورواه البزار مطولا ويأتي في باب الكبائر ورجاله ثقات .

مرة ثانية لأصحابها كما قال ذلك جمهور الفقهاء كمالك وأبي حنفية وأحمد وأصحابهم[1] «فإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرقت أديانهم واضمحلت مروءاتهم وقست قلوبهم وفشت فيهم المعاصي والذنوب وذهبت أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فضعفوا عن إقامة الحق فتعاطوا الباطل، وبخسوا الكيل والميزان وروجوا البهرج ـ الشيء المزيف ـ فرفعت منهم البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الأرض زرعها ونباتها فقل في أيديهم الحطام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة فقد روي عن عمر بن عبد العزيز تهلك العامة بذنب الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥]»[2] فالكارثة إذا نزلت عمت جميع المسلمين ولم تقتصر على فئة معينة منهم بل تصيب الكل والله تعالى هو العاصم من ذلك.

[٤] من العوائق التي تؤدي إلى منع العزة كلية أو عرقلة تكوينها هو تولية أحد المسلمين حديثي العهد بالإسلام والذين لم يرسخ الإيمان في قلوبهم، أو أحد الأشخاص ذوي المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة منصبا ذا شأن عظيم من شأنه أن يؤثر في سير الأحداث ويوقع الأمة في مصائب وكوارث لا حصر لها؛ كما حدث في تولية المؤيد العلقمي الرافضي منصب الوزارة في خلافة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين فقد قام العلقمي الرافضي بمكاتبة التتار وتحريضهم على مهاجمة بغداد، وأنه سوف يسهل لهم عملية الدخول والقضاء على المسلمين وعلى الخليفة العباسي، وذلك نظير أن يصبح هو نائبا لهم عليها، فوعدوه الأماني، وقد كان

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية: ص ٤٣.

(٢) حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ص ٦٥، ٦٦ : للشيخ/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن رضوان الموصلي /ت/ طبع : دار الوطن، الرياض، السعودية ،١٤١٦هـ، ط: الأولي، تحقيق: د/فؤاد عبد المنعم

التتار يتهيبون ويتخّوفون من عملية اقتحام بغداد لما بها من قوة ومنعة وهي مقر الخلافة والحكم[1] وهذا الفعل الذي فعله ابن العقلمي قد تكرر في كثير من الدول الإسلامية من العصور الماضية وحتى في عصرنا الحاضر كما حدث في سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م، في يد الولايات المتحدة الأمريكية ومن معها من الدول الأوربية من خيانة كثير من القادة العراقيين، وقد أصبح الناس في بغداد في أحد الأيام، وإذا بها خالية لا يوجد فيها جيش يحمي العراقيين من القتل والدمار والخراب، وفوجئ الناس بدخول القوات الأمريكية والأجنبية المساعدة لها بدون قتال يذكر من أحد من أهل بغداد ولا من جيشها الذي كان يعد من أقوى الجيوش الكبرى في العالم.

[٥] من عوائق العزة التنازع والاختلاف على أتفه الأشياء وأقلها، والانتصار للنفس دون مراعاة الوحدة والاجتماع وإحقاق الحق وإتباعه، ومراعاة التفرقة بين الأشياء التي يمكن أن تؤدي إلى التنازع والأشياء التي يمكن أن نتسامح فيها قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] فالآية فيها دلالة على الحث والامتثال لطاعة الله تعالىٰ وطاعة رسوله ﷺ واتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وإصلاح ذات البين، ونفي التنازع والاختلاف، وفي التنازع والاختلاف فساد ذات البين وذهاب الدين والدنيا، ومن ينظر في عواقب الأمور ويستقرئ منها قواعد يستنير بها يعلم هذه الحقيقة وهي: أنه إنما لا يقع «التنازع بين الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، أو حينما يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله وللرسول ﷺ انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم ـ مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة ـ فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ ٢/ ٢٧٠ : للشيخ / عبد الحي بن أحمد ابن محمد ابن العماد الدمشقي/ت/١٠٨٩هـ، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٢٣/ ١٨٠ ومابعدها

هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة نظر يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها، وإنما هو وضع الذات أو النفس في كفة، والحق في كفة؛ وترجيح الذات على الحق ابتداء، ومن ثم اعتبر هذا التعليم وهو طاعة الله تعالىٰ وطاعة رسوله ﷺ عند أي أمر من الأمور التي تهم المسلمين وخصوصاً لو كانت هناك معركة»[1] من المعارك الحربية التي يكون فيها الوحدة وعدم الاختلاف هو أهم الأشياء في طليعتها فهذا يعتبر من عمليات الضبط والنظام. إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها. والتي لا بد منها في سياسة الدولة حتى تتحقق العزة المرجوة. يؤكد هذه المعاني ما حدث من أمر الرسول ﷺ للصحابيان أبو موسي الأشعري ومعاذ بن جبل حينما بعثهما إلى اليمن أميرين لتنفيذ المهام التي كلفهم بها الرسول ﷺ فأمرهما بالتطاوع وترك عدم التنازع والاختلاف فقد روي عن سعيد ابن أبي بردة عن أبيه عن جده ﷺ أن النبي ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن. قال: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا»[2] وقد بين الله تعالىٰ أن أسباب الفشل هي التنازع وعصيان الأوامر وحب الدنيا والاثرة والأنانية ؛ كل ذلك يؤدي إلى الفشل والهزيمة وخصوصا إذا كانت المعركة دائرة أما في الحالة العادية وهي حالة السلم ؛ فإنها قد تورث الذلة والمهانة وقد بين الله تعالىٰ هذه الأسباب فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٥٢] وقد بين الله تعالىٰ أن هذا التنازع لرئيس الدولة أو الحاكم يجب أن يرد إلى كتاب الله تعالىٰ وإلى سنة رسوله ﷺ؛ وما دام الكل مؤمناً وموحداً بالله تعالىٰ، فإن الإيمان بما فيه من طاعة لله تعالىٰ يجعل القلوب تخضع

(١) بتصرف من : في ظلال القرآن تفسير الآية /٤٦/من سورة الأنفال .

(٢) صحيح البخاري جـ٣/١١٠٤/٢٨٧٣/باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه.

للحق ولا تميل إلى الهوى، وهذا الفعل يؤدي إلى العزة والتمكين في الأرض ؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] .

[٦] من عوائق العزة تقاتل المسلمين بعضهم مع بعض وعدم نصرة بعضهم لبعض حينما تنزل بأحدهم كارثة من الكوارث أو إغارة العدو على بعض البلاد الإسلامية فلا يستجيبون لنصرة إخوانهم مع أن النصرة واجبة عليهم ؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام: ٦٥] الآية[1] فيها دلالة على ما يحدث بين المسلمين من قديم الزمان من تقاتل وتناحر وتنافس على السلطة وسفك الدماء وقتل النساء والأولاد، واستباحة الأموال وهي سنة كونية حذرنا الله تعالى منها، وقد ترتبت على ترك المسلمين تعاليم دينهم وأحكام شريعتهم، فقاتل بعضهم بعضا واستباح بعضهم دماء وأموال بعض، وما نال العدو من المسلمين شيئا من البلاد والعباد والأموال إلا بمساعدة بعض المسلمين من الخونة والمنافقين الذين يظهرون الدين ويبطنون الكفر والإلحاد ومن تتبع التاريخ الإسلامي منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم حتى عهد قريب لوجد هذا الأمر واقعاً كثيراً جداً، وقد روي عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر وإني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي وعشرون عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم عامة، وأن لا يلبسهم شيعا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض. فقال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم وعشرون عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا عامة فيهلكوهم عامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي

(١) انظر تفسير الآية في : تفسير القرطبي جـ٧/٩، ١٠، وتفسير الطبري جـ٧/٢١٩، ٢٢٠وتفسير بن كثير جـ٢/١١١

بعضا. قال: وقال رسول الله ﷺ إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنهم إلى يوم القيامة»[1] فالحديث فيه دلالة على السنة الكونية التي وقعت في المسلمين، وهي أن المسلمين سيقاتل بعضهم بعضا ويعين بعضهم العدو على إخوانه المسلمين، وذلك ناتج من بعد المسلمين عن التشبث بدينهم؛ وأنهم يؤثرون الحياة الدنيا رغم مخالفتها للإسلام، ومن ثم فلا يستطيع العدو بناء على هذا الحديث أن يستأصل شأفة المسلمين وهذا الأمر واقع بالفعل فلم تستطع الدول الأوربية في فترة الاحتلال الكبرى للبلاد الإسلامية من السيطرة الكاملة على المسلمين والقضاء كلية على الإسلام، كما حدث في الأندلس وكما حاولت روسيا من القضاء على الإسلام في الجمهوريات الإسلامية إبان الفترة الشيوعية، ولكن ظل الإسلام في القلوب، وحاول المسلمون من خلال الجهاد استرجاع البلاد مرة ثانية ومازال الجهاد مستمرا من أجل تطبيق شرع الله تعالى، ومما يؤكد أن تقاتل المسلمين يعتبر سنة كونية هو ما رواه خباب بن الأرت ﷺ عن أبيه قال: صلي رسول الله ﷺ صلاة فأطالها قالوا يا رسول الله: صليت صلاة لم تكن تصليها قال: «أجل إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي وعشرون فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»[2] فهذه الرواية تدل على أن هذا الأمر واقع لا محالة وأن المسلمين سوف ينشغلون بالدنيا عن المهمة الأساسية الموكولة إليهم، وأما ما روي عن جابر ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ...﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك، قال: أو من تحت

(١) مجمع الزوائد جـ٧/٢٢١/ باب في قوله تعالى أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض/قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) سنن الترمذي جـ٤/٤٧١/٢١٧٥/كتاب الفتن/ باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثا في أمته/قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح وفي الباب عن سعد وابن عمر، وفي روايات هذا الحديث عند غير الترمذي بدل لفظ: عشرون. لفظ: السنين أو لفظ: غرقا.

أرجلكم، قال: أعوذ بوجهك، أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر»(١).

[٧] من عوائق العزة حب الدنيا والتنافس عليها والتقاتل في سبيلها، وبذل النفس والمال من أجل الحصول على ملذاتها ومناصبها وما يتعلق بها من الأشياء، ومن ينظر في التاريخ يجد هذا الأمر منتشراً، وما وقع للمسلمين من ذل ومهانة وانكسار إلا وكان حب الدنيا هو السبب الرئيسي وراء هذه المصائب والكوارث وخصوصا في الحروب، كما حدث في معركة أحد والرسول ﷺ حاضر بين الصحابة، ولم يمنع ذلك من وقوع الهزيمة وذلك بسبب نزول فرقة الرماة لجمع المال وعصيان أمر الرسول ﷺ رغم أنه قد حذرهم من النزول، وبين لهم أنهم لا ينزلون ولو كانت الطير تتخطفهم، ولكن حب الدنيا وجمع المال دفعهم إلى النزول وعصيان الأمر مما أدي ذلك انكسار المسلمين ووقوعهم هزيمة لهذا الأمر ولذلك حذرنا الرسول ﷺ من حب الدنيا والتنافس عليها وأن ذلك سيكون سببا في ضياع عزة المسلمين وزوال هيبتهم من صدور الأعداء، فقد روي عن عمر بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرا أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»(٢) وقد أكد هذا المعني أمير المؤمنين عمر بن

(١) صحيح البخاري جـ ٤/ ١٦٩٤/ ٤٣٥٢/ كتاب التفسير/ باب ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾
(٢) صحيح البخاري جـ ٤/ ١٤٧٣/ ٣٧٩١/ كتاب المغازي/ باب شهود الملائكة بدراً.

الخطاب ما جاءه الهرمزان قد روي عن أنس بن مالك والأحنف بن قيس جاؤوا يريدون عمر والهرمزان معهم فقدموا مع أبي موسى البصرة ثم خرجوا نحو المدينة حتى إذا دخلوها هيئوا الهرمزان في هيئته فألبسوه كسوته من الديباج، ووضعوا على رأسه تاجا مكللا بالياقوت كما يراه عمر والمسلمون في هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل لهم جلس في المسجد، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل لهم: جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة فانطلقوا يطلبونه في المسجد فلم يروه، فلما انصرفوا مروا بغلمان يلعبون فقالوا لهم: ما تلددكم - التفاتكم يمينا وشمالا - تريدون أمير المؤمنين؛ فإنه نائم في ميمنة المسجد متوسد بُرنسه - ثوب له رأس - وكان عمر رحمه الله قد جلس لوفد الكوفة في برنس فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه، ثم توسده فنام، فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره والدرة في يده؛ فقال الهرمزان: أين عمر ؟. قالوا: هو ذا، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه، فقال لهم الهرمزان: أين حرسه وحجابه، فقالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان، فقال: ينبغي له أن يكون نبياً. قالوا: بل يعمل عمل الأنبياء. وكثر الناس فاستيقظ عمر رحمه الله بالجلبة فاستوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان فقال: الهرمزان؟. قالوا: نعم. فتأمله وتأمل ما عليه، وقال: أعوذ بالله من النار وأستعين بالله، ثم قال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا - البطر: هو الطُّغْيان عن النَعْمة وطُولِ الغْنَي - فإنها غرارة. فقال الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه فقال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء فرمى عنه بكل شيء كان عليه إلا شيئاً يستره وألبسوه ثوباً صفيقاً؛ فقال عمر: هيه يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله...»[1].

(١) تاريخ الطبري جـ ٢/٥٠٢.

المبحث الثامن

الآثار المترتبة على العزة في الفقه الإسلامي

أولا: الآثار المترتبة على العزة في الجانب الدنيوي:

[١] دعوة الناس إلي الإسلام وبيان حقيقته وطبيعته؛ وذلك لأن الله تعالىٰ قد أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبين أن مهمتهم هي دعوة الناس إلى عبادة الله تعالىٰ الواحد الأحد الفرد الصمد، وترك عبادة ما دونه من آلهة يتخذونها الناس وأن يكون الناس أحراراً في اختيار طريقهم في العبادة دون أن يكون عليهم سلطان أو رقيب من أحد من الحكام أو المحكومين، وأن المسلمين يجب أن يقوموا بهذا الواجب المفروض عليهم، ألا وهو دعوة الغير إلى الإسلام وتفيهمه مقصود الله تعالىٰ ؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾[الأحزاب: ٣٩] فالآية[١] وإن كانت خطاباً وبياناً للرسول ﷺ بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد بلغوا رسالات الله تعالىٰ ولم يخشوا أحدا إلا الله تعالىٰ، فيجب على المسلمين أن يتأسوا بنبيهم وبالرسل الكرام في خشية الله تعالىٰ وفي عدم خشية أحداً من دونه، وأن يقوموا بتبليغ رسالات الله تعالىٰ كما بلغ الرسل الكرام، فالخطاب وإن كان للرسول ﷺ فهو للأمة مجتمعة ؛ لأنه لم يرد دليل يدل على الخصوصية فقد روي عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[٢] فلا بد للمسلمين من أن يقوموا بتبليغ رسالات الله تعالىٰ حتى يعلم بها الناس، وحتى تقام عليهم الحجة، فلا يكون لهم عند الله تعالىٰ حجة بعدم تبليغ الرسالة الإسلامية إليهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾[الجن: ٢٨] كما أن الله تعالىٰ أمرنا في حالة طلب أحد من غير المسلمين

(١) انظر تفسير الآية في : تفسير القرطبي جـ ١٤/ ١٩٥، والطبري جـ ٢٢/ ١٥، وتفسير ابن كثير جـ ٣/ ٣٩٣

(٢) صحيح البخاري جـ ٣/ ١٢٧٥/ ٣٢٧٤/ كتاب الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل

الإجارة أو حق اللجوء لمعرفة الإسلام والقرآن والسنة فيجب على المسلمين حكاما ومحكومين أن يقوموا بتنفيذ هذا الطلب ؛ وذلك لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] وحين يتقاعس صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق، وعن الفاصل الحاسم بين حقه وباطلهم.حين يفعل صاحب الدعوة هذا ـ مراعاة للظروف والملابسات، وحذراً من مواجهة واقع الناس الذي يملأ عليهم حياتهم وأفكارهم وتصوراتهم ـ فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم، لأنه لم يعرّفهم حقيقة المطلوب منهم كله، وذلك فوق أنه يكون لم يبلغ ما كلفه الله تعالىٰ بتبليغه، إن التلطف في دعوة الناس إلى الله، ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية، لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها. إن الحقيقة يجب أن تبلغ إليهم كاملة. أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة. ولقد ينظر بعضنا اليوم ـ مثلاً ـ فيرى أن أهل الكتاب هم أصحاب الكثرة العددية وأصحاب القوة المادية. وينظر فيرى أصحاب الوثنيات المختلفة يعدون بمئات الملايين في الأرض، وهم أصحاب كلمة مسموعة، في الشئون الدولية. وينظر فيرى أصحاب المذاهب المادية بأن لهم أعداداً ضخمة وأصحاب قوة مدمرة. وينظر فيرى الذين يقولون: إنهم مسلمون ليسوا على شيء؛ لأنهم لا يقيمون كتاب الله تعالىٰ المنزل إليهم. فيتعاظمه الأمر، ويستكثر أن يواجه هذه البشرية الضالة كلها بكلمة الحق الفاصلة، ويرى عدم الجدوى في أن يبلغ الجميع أنهم ليسوا على شيء وأن يبين لهم الدين الحق وليس هذا هو الطريق.. إن الجاهلية هي الجاهلية ـ ولو عمت أهل الأرض جميعاً ـ وواقع الناس كله ليس بشيء ما لم يقم على دين الله الحق، وواجب صاحب الدعوة هو واجبه لا تغيره كثرة الضلاَّل؛ ولا ضخامة الباطل، فالباطل ركام، وكما بدأت الدعوة الأولى بتبليغ أهل الأرض قاطبة: أنهم ليسوا على شيء، كذلك ينبغي أن تستأنف في عصرنا الحالي، وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الله رسوله ﷺ وناداه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة: ٦٧، ٦٨]. وينتهي هذا المقطع بالبيان الأخير عن الدين الذي يقبله الله من الناس، أياً كان وصفهم وعنوانهم وما كانوا عليه(١).

[٢] تحقيق العدل والحق في القيم والمفاهيم وفي التصور والتصديقات والتوسط في جميع الأمور دون إفراط أو تفريط أو مغالاة أو تسهيل وتفريط في الأمر؛ وذلك لأن المسلمين أمة واحدة، وأمة وسط من بين الأمم اختصها الله تعالىٰ بكثير من الأشياء وألقي على عاتقها واجبات كثيرة؛ وذلك لأنها وارثة كتاب الله تعالىٰ؛ فالمسلمون يكونون أمة واحدة ووحدة منفصلة عمن سواهم، متضامنون متكافلون فيما بينهم. ولذلك يجب أن يهتموا بشئون أنفسهم أولا فيصلحوها ويهذبوها ويقوموها على كتاب الله تعالىٰ وعلى سنة رسول الله ﷺ، فيقومون بعملية التزكية والتطهير؛ إن القرآن فيه آيات كثيرة تتضمن وتقرر مبادئ أساسية في طبيعة الأمة المسلمة، وفي طبيعة علاقاتها بالأمم الأخرى، إن الأمة المسلمة هي حزب الله. ومن عداها من الأمم فهم حزب الشيطان. ومن ثم لا يقوم بينها وبين الأمم الأخرى ولاء ولا تضامن، لأنه لا اشتراك في عقيدة؛ ومن ثم لا اشتراك في هدف أو وسيلة؛ ولا اشتراك في تبعة أو جزاء. وعلى الأمة المسلمة أن تتضامن فيما بينها ؛وأن تتناصح وتتواصى، وأن تهتدي بهدي الله الذي جعل منها أمة مستقلة منفصلة عن الأمم الأخرى، ثم لا يضيرها بعد ذلك شيء من أن يضل الناس حولها، ما دامت هي قائمة على الهدى. ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها في دعوة الناس كلهم إلى الهدى وتوضيح التصور في الأمور كلها وخاصة الاعتقادية. والهدى هو دينها هي وشريعتها ونظامها. فإذا هي أقامت نظامها في الأرض بقي

(١) في ظلال القرآن : تفسير سورة المائدة آية (٦٧) وما بعدها

عليها أن تدعو الناس كافة، وأن تحاول هدايتهم، وبقي عليها أن تباشر القوامة على الناس كافة لتقيم العدل بينهم؛ ولتحول بينهم وبين الضلال والجاهلية التي منها أخرجتهم[1]. يتضح من هذا أنه لا يمكن لأمة تكون ذليلة أن تحمل مشعل الهداية والنور لكي ترشد الناس إلى الطريق الصحيح طريق الإيمان بالله تعالىٰ؛ فلا بد من أن تكون هذه الأمة عزيزة بعز الله تعالىٰ لها واتباعها منهج الله تعالىٰ؛ فالأمة العزيزة هي التي تقوم بذلك أما الأمة الإسلامية إذا لم تقم بذلك فإن الله تعالىٰ يسحب منها العزة ويجعلها في غير المسلمين ويذيق المسلمين ويلات البعد عن المنهج، فيصبح المسلمون غثاء كغثاء السيل ليس له أية قيمة ولا وزن في محيط العلاقات الدولية أو الداخلية.

[٣] التمكين في الأرض؛ وذلك لأن «صلاح أمر السلطان والدولة يكون بتجريد المتابعة لكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ وحمل الناس على ذلك، فإنه سبحانه وتعالىٰ جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا أقام الصلاة في مواقيتها جماعة هو وحاشيته وأهل طاعته، وأمر بذلك جميع الرعية وعاقب من تهاون في ذلك العقوبة التي شرعها الله تعالىٰ فقد تم هذا الأصل، ثم إنه مضطر إلى الله تعالىٰ فإذا ناجى ربه في السحر واستغاث به وقال: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث أعطاه الله من التمكين مالا يعلمه إلا الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨] ثم كل نفع وخير يوصله إلى الخلق هو من جنس الزكاة فمن أعظم العبادات سد الفاقات وقضاء الحاجات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، والأمر بالمعروف وهو الأمر بما أمر الله به ورسوله من العدل والإحسان وأمر نواب البلاد وولاة الأمور باتباع حكم الكتاب والسنة، واجتنابهم حرمات الله والنهى عن

(١) بتصرف من: في ظلال القرآن: تفسير سورة المائدة آية (١٠٥) وما بعدها

المنكر وهو النهى عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ وإذا تقدم السلطان أيده الله بذلك في عامة بلاد الإسلام كان فيه من صلاح الدنيا والآخرة له وللمسلمين ما لا يعلمه إلا الله»(١).

[٤] من آثار العزة تمسك المسلمين بتطبيق شريعتهم في كل زمان وفي كل مكان داخل القطر الإسلامي وفي خارجه، ولا يحول دون هذا التطبيق وجود المسلم خارج بلاده الإسلامية؛ فإن الله تعالىٰ يقول لنبيه ﷺ: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الزخرف: ٤٣] والخطاب المذكور في الآية لا يعتبر خاصاً بالرسول ﷺ بل هو يشمل كل المسلمين والمسلمات في كل زمان وفي كل مكان ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٥] وهذا يعني أنهم يلتزمون بأحكام الشريعة في كل مكان وفي كل زمان، ولذلك مدح الله تعالىٰ المؤمنين الذين يلتزمون بأحكام الإسلام في كل مكان فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[البقرة: ٤] ووصف الله تعالىٰ الذين لا يتبعون أحكام الإسلام ويتبعون كما قاله لهم آبائهم بأنهم بهذا لا يعتبرون من المهتدين المتبعين لأحكام الإسلام ؛ بل هم من المنافقين الذين يكون جزاؤهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار ؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٧٠] وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[النساء: ٦١] ثم مدح الله تعالىٰ المتبعين لأحكام الإسلام فقال: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[آل عمران: ٥٣].

ثانيا: الآثار المترتبة على العزة في الجانب الأخروي:

[١] تعد الشهادة على الناس من أهم الأشياء المترتبة على العزة؛ وذلك لأنه لا

(١) بتصرف من : مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ٢٨/٢٤٢

يمكن تصور الشهادة على الناس من قوم أذلاء مهانين خاضعين لغيرهم، ولا يتمتعون بالطاعة الكاملة لله تعالى، ويفعلون المعاصي والذنوب، فهؤلاء الناس غير جديرين بوصف العزة ومن ثم غير جديرين بوصف الشهادة على الناس؛ وذلك لأن الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٤٣] فالآية: واضحة الدلالة في بيان وسطية هذه الأمة وأن هذا التوسط في جميع الأمور من أسباب عزتها ؛ قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[الحج: ٧٨] وقد ربط الله تعالى الشهادة على الناس وشهادة الرسول ﷺ علينا نحن المؤمنين بأن نقوم بواجب الجهاد في سبيله ولا يوجد حرج في هذا الأمر؛ لأنه طاعة لله تعالى، وامتثال أوامره، وفي الطاعة الكاملة والتسليم الكامل له يعطينا الله تعالى العزة في الدنيا والشهادة على الناس في الآخرة، وهذه مكانة عظيمة لم تعط لأي أمة من الأمم السابقة أو اللاحقة ؛ وإنما أعطيت لأمة الإسلام فقط.

[٢] يترتب على العزة في الآخرة أن يكون المسلمون هم أكثر أهل الجنة ؛ وذلك لأنهم بطاعتهم لله تعالى واجتناب المعاصي يستحقون العزة والمنعة والرفعة في الدنيا، ويوم القيامة يكونون هم أكثر أهل الجنة وفاء لهم دليل ذلك ما روي عن عبد الله ﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟. قال: فكبرنا. ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟. قال: فكبرنا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض» وفي رواية عن عمرو ابن ميمون عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحوا من

أربعين رجلاً، فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟. قال: قلنا نعم. فقال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟. فقلنا نعم. فقال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر»(١) فالحديث واضح الدلالة في أن المسلمين سيكونون نصف أهل الجنة وهذا التكريم لا يكون إلا إذا كانوا قد أطاعوا الله تعالىٰ في الدنيا وتحققت فيهم العزة المرجوة والمرتبطة بتحكيم شرع الله تعالىٰ وامتثال أوامره في جميع شئون الحياة وإذا لم يتحقق ذلك فيهم لم يستحقوا أن يكونوا ربع أو ثلث أو نصف أهل الجنة ؛ لأن الجنة لا يستحقها إلا من قام بحقها ؛ وحقها هنا هو أن يكون الإنسان مسلما صحيح الإسلام، والإيمان بالله تعالىٰ.

[٣] شهادة القرآن على هذه الأمة ؛ إما أن تكون الشهادة لهم بأنهم قاموا بتطبيقه وتحكيمه في جميع أمور حياتهم ؛ وإما أن يكونوا قد فرطوا في تطبيقه فيشهد عليهم بأنهم تركوه ولم يطبقوه ؛ فقد روي عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»(٢) فالحديث واضح الدلالة في أن القرآن الكريم سيكون حجة على المسلمين أو حجة لهم، وهذه الشهادة إما أن تكون في جانبهم ترفع من شأنهم وإما أن تكون عليهم، وتكون سببا في كشف زيف أعمالهم التي كانوا يحسبون أنهم يعملونها ابتغاء رضوان الله تعالىٰ، فيبين كذبهم وزيفهم وأن هذه الأعمال هي التي تكون سببا في دخولهم النار، وذلك بسبب ترك القرآن الكريم وعدم تحكيمه فيما بينهم من مسائل

(١) صحيح مسلم جـ ١/ ٢٠٠/ ٢٢٠، ٢٢١/كتاب الإيمان/ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .
(٢) صحيح مسلم جـ ١/ ٢٠٣/ ٢٣ ٢/ كتاب الطهارة / باب فضل الوضوء .

الحياة، حتى يشكوا الرسول ﷺ تقصيرنا إلى الله تعالىٰ ؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾[الفرقان: ٣٠] فإذا هجر المسلمون القرآن بكل ما تعنيه الكلمة هجر أو ترك فقد يكون الهجر هجر تلاوة أو هجر تحكيم أو هما معا فكلمة هجر تحتمل كل ذلك ولا يمكن تصور وجود العزة لقوم هجروا القرآن فالقرآن هنا يشهد عليهم بالهجر كما يشهد عليهم الرسول ﷺ بهذا التقصير، فإذا كنا أعزة بقرآننا وإسلامنا استحققنا شهادة القرآن لنا وبأننا لم نهجره وأننا قمنا به حق القيام الذي أمرنا الله تعالىٰ به. هذا والله تعالىٰ هو الموفق إلى ما فيه الخير والصلاح للعباد.

خاتمة

أخيراً وليس آخرا أننا يجب علينا أن نعود إلى إسلامنا الحنيف والذي فيه عزتنا وكرامتنا وقوتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، وقد جرب المسلمون في العصر الحديث تطبيق القوانين الوضعية والتي أثرت تأثيرا سيئا في حياتنا ولم نجني منها سوي العذاب والضياع وفقدان الذات والهوية الإسلامية فلا نحن بقينا مسلمين متمسكين بإسلامنا ولا نحن بإتباعنا أحكام الغرب والشرق غير الإسلامي رضي عنا غير المسلمين؛ وصدق فينا قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿...وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ١٤٥] فالعزة كل العزة في اتباع منهج الله تعالى في جميع شئون الحياة وحتى تتحقق العزة بشروطها وتنتفي موانعها، يجب علينا أن نقوم ونسعى بتحقيق العزة فينا أفرادا وجماعات حكاما ومحكومين حتى ننال الرفعة والعزة في الدنيا وشهادة القرآن لنا في الآخرة.

فهرس المراجع

(أ) اللغة العربية:

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: للشيخ: محمد عبد الرءوف المناوي /ت/٩٥٣هـ، طبع دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ ط: الأولي، محمد رضوان الداية.

(٢) العين: للإمام: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي/ت/١٧٥هـ، طبع دار الهلال، تحقيق: د/ مجدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي.

(٣) القاموس المحيط: للإمام: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي /ت/٨١٧هـ

(٤) لسان العرب للإمام: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري /ت/٧١١هـ، طبع: دار صادر بيروت، ط: الأولي

(٥) المصباح المنير، للإمام: أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي /ت/٧٧٠هـ، طبع المكتبة العلمية، بيروت

(٦) المزهر: للإمام أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي /ت/٩١١هـ

(ب) كتب التفسير:

(٧) تفسير الطبري: للإمام: أبو جعفر محمد بن جرير بن خالد الطبري /ت/ ٣١٠هـ، طبع دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٥هـ

(٨) تفسير بن كثير (تفسير القرآن العظيم)جـ٣/ ٥٥٠، للإمام: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمقشي/ ت/٧٧٤هـ، طبع : دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ

(٩) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي /ت/٦٧١هـ، طبع: دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ط: الثانية، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

(١٠) تفسير في ظلال القرآن تفسير سورة فاطر آية (١٠) ملفات وورد منزلة من على النت، وأيضاً من على الموسوعة الشاملة.

(ج) الحديث الشريف وشروحه والحكم عليه:

(١١) صحيح البخاري (الجامع الصحيح) للإمام: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي /ت/ ٢٥٦هـ، طبع: دار ابن كثير واليمامة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ط: الثالثة، تحقيق: د/ مصطفي ديب البغا.

(١٢) صحيح مسلم (الجامع الصحيح): للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري/ ت/ ٢٦١هـ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٣) صحيح بن خزيمة /للإمام أبو بكر السلمي: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري /ت/٣١١هـ/ طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م، تحقيق: محمد مصطفي الأعظمي.

(١٤) المستدرك على الصحيحين.للإمام: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري/ ت/٤٠٥هـ، طبع دار الكتب العلمية بيروت، عام ١٤١١هـ =١٩٩٠م، ط: الأولي، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا.

(١٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد /للإمام: على بن أبي بكر الهيثمي /٨٠٧هـ، طبع: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، عام ١٤٠٧هـ.

(١٦) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) للإمام: أبو عيسي محمد بن عيسي الترمذي/ ت/٢٧٩هـ، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون.

(١٧) نوادر الأصول: للإمام: أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن الحكيم الترمذي، طبع: دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ط: الأولي، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة.

(١٨) مسند البزار: للإمام: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار /ت/٢٩٢هـ، طبع: مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت – المدينة، عام: ١٤٠٩هـ، طبع: الأولي، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله.

(١٩) المسند: للإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني/ت/٢٤١هـ طبع: مؤسسة قرطبة، مصر.

(٢٠) السنن للإمام: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي/ ت/٢٧٥هـ، طبع: دار الفكر ، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢١) الأحاديث المختارة: للإمام: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي /ت/٦٤٣هـ، طبع: مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط: الأولي عام ١٤١٠هـ، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

(٢٢) فتح الباري: للإمام: أبو الفضل احمد بن على بن حجر الشافعي/ت/٨٥٣هـ، طبع: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.

(٢٣) الدراية في تخريج أحاديث الهداية: للإمام أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني /ت/٨٥٢هـ طبع: دار المعرفة، بيروت، تحيق: السيد عبد هاشم اليماني ،

(٢٤)كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: للإمام: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، طبع: مؤسسة قرطبة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط: الرابعة، تحقيق: أحمد القلاش.

كتب الفقه والفتاوي:

(٢٥) مجموع فتاوى بن تيمية: للإمام: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني/ ت/٧٢٨هـ، طبع: دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٨٦هـ، ط: الأولي، تحقيق: حسين محمد مخلوف.

(٢٦) أحكام أهل الذمة لابن القيم: للإمام أبو عبد اله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي/ت/٧٥١هـ، طبع: دار رمادي للنشر، دار بن حزم، الدمام، بيروت، طبع: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ط: الأولي، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق

كتب التاريخ والسياسة:

(٢٧) تاريخ الطبري، للإمام محمد بن جرير الطبري /ت/٣١٠هـ، طبع:دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٠٧هـ الأولي.

(٢٨) دولة الإسلام في الأندلس: أ/محمد عبد الله عنان.طبع: مكتبة الأسرة /٢٠٠٣م الهيئة المصرية العمة للكتاب

(٢٩) نظام الحكومة النبوية المسمي: التراتيب الإدارية، للإمام:عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، طبع: دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان، الناشر: دار صادر ـ بيروت، المحقق: إحسان عباس

(٣١) زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الناشر: مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦ تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

(٣٢) الروض المعطار في خير الأقطار: للحميري: محمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس:نشر: مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ طبع/ مطابع دار السراج الطبعة٢ ـ ١٩٨٠م.

(٣٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: المؤلف: أحمد بن على القلقشندي الناشر: دار الفكر ـ مشق الطبعة الأولى، ١٩٨٧م تحقيق: د.يوسف على طويل.

(٣٤) مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، طبع: دار القلم، بيروت، ط: الخامسة، ١٩٨٤م.

(٣٥) حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ص ٦٥، ٦٦: للشيخ/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن رضوان الموصلي/ت/ طبع: دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ، ط: الأولي، تحقيق: د/فؤاد عبد المنعم.

(٣٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب للشيخ / عبد الحي بن أحمد ابن محمد ابن العماد الدمشقي/ت/١٠٨٩هـ، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٧) سير أعلام النبلاء للذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي /ت/٧٤٨هـ/ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

(٣٨) الأمم المتحدة في نصف قرن، د/ حسن نافعة، سلسلة عالم المعرفة عدد (٢٠٢) شهر أكتوبر (١٩٩٥م)

(٣٩) نصوص ميثاق الأمم المتحدة.